فن الصمود
رسائل مصوَّرة
وخطة القراءة

امسح هنا

للحصول علي الرسائل المصَّورة الخاصَّة بالقس تشيب إنجرام وخطة القراءة اليوميَّة الخاصَّة ب **YouVersion**. يرجى مسح ال QR code. كما يمكنكم زيارة موقعنا:
www.lotearabic.org

HOLY BIBLE
YouVersion

LIVING™
ON THE EDGE

الطبعة الثانية

الكتاب: **فنُّ الصمود في عصر الفوضى**

الناشر: **تشيب إنجرام، الحياة على الحافة © ٢٠٢٤**

رقم الإيداع: **٢٠٢٢/٢٣٥٥٧**

المطبعة: **مطبعة سيوبرس** **ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦**

الإخـــراج الفني الداخلي: **وجدي جميل**

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر أو الاقتباس محفوظة للناشر

جميع الاقتباسات الكتابية الواردة في الكتاب مأخوذة من **ترجمة الكتاب المقدس بحسب سميث\ فانديك،** الصادرة عن **دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط** ما لم يُذكر ما هو بخلاف ذلك.

LIVING ON THE EDGE

© 2022 by Chip Ingram and Living on the Edge

All rights reserved.

Living on the Edge,

PO Box 3007, Suwanee, GA 30024. www.livingontheedge.org.

ISBN: 978-1-60593-402-0

© All rights reserved worldwide.

الفهرس

المقدّمة ٧

الفصل الأوّل

موقفٌ قلبيّ نتّخذه ١١

الفصل الثاني

موردٌ سماويّ نطلبه ٢٧

الفصل الثالث

لاهوتٌ نصدقه ٤٣

الخاتمة ٦١

المقدّمة

نعيش في عالمٍ متقلقلٍ. وهذا بالطبع ليس بأمرٍ جديدٍ، إذ لطالما كان كذلك. لكنّ بعض الفترات تبدو فوضويّة أكثر مِن الأخرى، والأحداث الوطنيّة والعالميّة الأخيرة زعزعتِ النّاس بشكلٍ عميقٍ.

إنّنا نضطرب لأسبابٍ شخصيّةٍ أيضًا، إذ يواجه كلٌّ منا الأزمات التي تأتي مع بعض فصول الحياة، وبعضها قد يكون صادمًا ومؤلمًا بشدّة. إنّنا نواجه الصراعات العلاقاتيّة، والصعوبات الماليّة، والمشاكل الصحيّة، بالإضافة إلى العديد مِن التحدّيات الأخرى التي تزعزع إيماننا، والتي يبدو تخطّيها مستحيلًا. إنّ الحياة صعبةٌ حقًّا في بعض الأحيان.

بصفتنا مسيحيين، نعلم أنّنا مدعوّون لنكون غالبين – فإنّ الإنجيل يعِدنا بالنصر، وليس بالهزيمة. لكنْ في بعض الأحيان، لا يتمحور همّنا الأساسيّ حول كيفيّة الازدهار، بل حول كيفيّة البقاء والصمود. إن لم يكن لدينا ما يكفي حاجتنا مِن الطعام والمال والصحّة، والروابط العلاقاتية غالبين والتشجيع والتأكيد، نبدأ بالتساؤل: «لماذا يا رب؟»

نتساءَل لماذا نمرّ بوقتٍ صعبٍ كهذا. وقد نتساءَل أيضًا: «أنا أخدم اللّه، إنّني أحاول أن أكون مطيعًا، وثمّ يحدث كلّ هذا. لماذا يفعل اللّه هذا بي؟»

هناك فنٌّ للصمود، والكتاب المقدّس يدرّبنا عليه. العِلم أحيانًا يبدو كقاعدةٍ رياضيّةٍ: اثنان زائد اثنان يساوي أربعة، قانون الجاذبيّة، خصائص المادّة ووظائفها، إلخ. لكنّ الفنَّ يأخذ شكلًا مختلفًا: إنّه طريقٌ للبحث عن الإجابات، إنّه أسلوبٌ يعكس الأيّام التي نعيشها.

لقد وُلدت الكنيسة في فترةِ شدائد ويأس، وأوّل رسالةٍ في العهد الجديد كانتْ تخاطب المصاعب التي كان يختبرها أعضاء الكنيسة. يعقوب، أخو يسوع، كتب هذه الرسالة إلى المؤمنين المكافحين الّذين تشتّتوا بسبب الاضطهاد. كانوا بحاجةٍ إلى معرفة كيفيّة الصمود.

ويعقوب قدّم لهم – ولنا – الإجابات. إنّني أطلقُ على هذا التعليم الموجود في بداية رسالته اسم «فنّ الصمود» لأنّه يقدّم لنا «موقفًا قلبيًا نتخذه»، و «موردًا سماويًا نطلبه»، وأخيرًا «لاهوتًا نصدّقه». حين نختار ذاك الموقف، ونتلقّى هذا المورد، ونتعلّم أن ننظر إلى الأمور مِن المنظور الصّحيح، يكون باستطاعتنا مواجهة أيّ موقفٍ صعبٍ بثقة.

قَبْل الغوص في المقطع الرائع الذي كتبه يعقوب، فلنراجع قليلًا عن خلفيّة العالم الذي نعيش فيه. والكتاب المقدّس يخبرنا أنّه عالمٌ ساقطٌ. لكنْ رغم اختبارنا للإحباط الناتج عنه، فما زلنا نتفاجأ أحيانًا بالتحدّيات التي نواجهها.

قال بطرس لقرّائه إنّه لا ينبغي أن يتفاجأوا مِن تجاربهم المؤلمة وكأنّها شيء غريبٌ (١ بطرس ٤: ١٢). وأخبر يسوع أتباعه أنّه سيكون لهم ضيق في العالم، وبَعد ذلك دعاهم إلى عدم الخوف لأنّه غلب العالم (يوحنّا ١٦: ٣٣). وبولس أيضًا أعطى تيموثاوس وعدًا، يكاد لا يطالب به أحد، وهو: «وَجَمِيعُ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِٱلتَّقْوَى فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ» (٢ تيموثاوس ٣: ١٢). إنّ أوقات الشدّة ليستْ بشيءٍ غريبٍ في عالمٍ ساقطٍ.

إذًا، هذا هو سياق تجاربنا. وبسبب طبيعة العالم الذي نعيش فيه، علينا أن نحفظ الملاحظات الثلاث التالية في ذهننا فيما نتفحّص تعليم يعقوب:

أوّلًا، لا مهـرب مِـن التجـارب. إنّ الصعوبـات فـي عالَمنـا السـاقط هـي أمـرٌ محتّـم. فـي الواقـع، لقـد أخضعنـا اللّـهُ للأمـور الباطلـة والمُحبِطـة خصّيصًـا كيـلا نرتـاح فـي الخطيئـة، بـل كـي نطلبـه هـو (رومية ٨: ٢٠ – ٢١). إنّ حاجتنـا لـه هـي خطـوة ضروريّـة فـي خطّتـه للخـلاص.

ثانيًـا، التجـارب إمّـا تبنينـا أو تكسـرنا. فـي لغـة الماندريـن الصينيـة، الكلمـة المرادفـة لكلمـة «أزمـة» هـي تركيـبٌ مِـن كلمتَـيْ «مأسـاة» و «فُرصـة». يمكننـا أن ننظـر إلـى أيّ أزمـةٍ إمّـا علـى أنّهـا مشـكلةٌ لا يمكـن تخطّيهـا، أو علـى أنّهـا فُرصـةٌ عظيمـةٌ. بطريقـةٍ عجيبـةٍ، تقـدر المعانـاة أن تدفـع النـاس إمّـا بعيـدًا عـن اللّـه أو نحـوه. وهـذا يشـكّل اللحظـات الحسّاسـة فـي حياتنـا.

نلاحـظ هـذا الأمـر فـي جميـع أرجـاء الكتـاب المقـدّس، وفـي تاريـخ قصـص الشـخصيّات التـي اختـارت الإيمـان والثقـة باللّـه فـي أصعـب الظـروف. مِـن جهـةٍ أخـرى، هنـاك العديـد مِـن القصـص عـن أنـاسٍ سـاوموا أو استسـلموا. إنّ نيـران تجاربنـا قـادرةٌ إمّـا علـى التهـام إيماننـا أو علـى تنقيتـه ليصبـح شـيئًا لا يـزول.

ثالثًا، الضحايا يعلقون في ألمهم وسؤال «لماذا؟»

إنّ نقيـض الناجـي هـو الضحيّـة. وحتّـى لـو كانـتْ أسـئلتنا المبنيّـة علـى «لمـاذا» عاديّـة وطبيعيّـة، فـإنّ الضحايـا يعلقـون فيهـا، فـلا يتخطّـون «يـا رب، لمـاذا أنـا؟» و«لمـاذا الآن؟».

أنـا مـدركٌ لمـدى صعوبـة تخطّـي هـذه الأسـئلة – لقـد طرحتُهـا بنفسـي حيـن كنـتُ مُفلِسًـا، وحيـن واجهـتُ التحدّيـات مـع أولادي، وحيـن تعرّضـتُ لخيانـة أولئـك الذيـن وثقـتُ بهـم، وحيـن أُصيبـتْ زوجتـي بالسـرطان، وحيـن عانيـتُ مِـن مشـاكل صحيّـة شـخصيّة – لكـنّ الناجيـن لا يقـدرون التركيـز علـى ألمهـم.

لا مانـع أنْ نقـف للحظـةٍ ونكـون صادقيـن مـع اللّـه بشـأن تسـاؤلاتنا المبنيّـة

علـى «لمـاذا». لكنّنـا لا نقـدر البقـاء هنـا. هـذا مـا يفعلـه الضحايـا. أمّـا الناجـون فلديهـم خيـارات أخـرى.

ألهـم الـروحُ القـدس يعقـوبَ بـأن يكشـف لنـا عـن هـذه الخيـارات. إنّ حلـول اللّـهِ عمليّـة وقويّـة ومغيّـرة للحيـاة، وقـادرة علـى إعطائنـا كلَّ مـا نحتـاج إليـه للبقـاء ثابتيـن فـي الأبديّـةِ، فيمـا نسـكن عالمًـا مضطربًـا. فلننظـر بعمـق معًـا إلـى «فن الصمود»، ونحاول أن نتعلمه!

الفصل الأوّل
موقفٌ قلبيّ نتخذه

خلال السنوات التي تلَتْ صَلب يسوع، انتشر الاضطهاد ضدّ المسيحيّين في أورشليم أكثر مِن مرّةٍ (أعمال ٨: ١ – ٣؛ ١١: ١٩؛ ١٢: ١ – ٤)، فقام العديد مِن المسيحيين اليهود بالهروب مِن المدينة. بعضُهم بقي هناك وعلى الأرجح عانى مِن الاضطهاد المستمرّ، فيما استقرّ البعض الآخر في قرى قريبةٍ أو في بلداتٍ بعيدةٍ حول الشاطئ الشرقيّ للبحر المتوسّط. في منازلهم الجديدة، كانوا عرضةً للمعاملة غير الأخلاقيّة والإساءة والعنف، إذ كانوا منفصلين عن عائلاتهم، بلا إرثٍ، وتحت عبءِ الضيقات الاقتصاديّة. لقد عاشوا تحت الضغطِ المستمرّ، وظروفهم كانتْ عصيبة.

هؤلاء المسيحيون كانوا بالتأكيد يعلمون أنّ لهم الحياة الأبديّة. كانوا مؤمنين بيسوع، وكانوا قد اختبروا محبّته ونعمته وقوّته. لكنْ على الرغم مِن ذلك، كانوا يتصادمون مع الـ «هنا والآن» مِن حياتهم اليوميّة. لا بد مِن أنّهم تساءلوا: «كيف يمكن أن نصمد في وجه هذه الصعوبات؟ كيف يمكن أنْ نتحمّل الضغط؟ ماذا يمكننا أنْ نفعل؟»

وأنت أيضًا على الأرجح واجهْت العديد مِن هذه الأسئلة خلال الأوقات الصعبة. إنّ النظر إلى الأمام، إلى الأبديّة العظيمة مع يسوع، هو تشجيعٌ رائعٌ، لكنّه لا يزيل الشدائد التي نعيشها اليوم. فهو لا يقوّي مناعتنا ضدّ جميع الأمراض، ولا يحسّن جميع علاقاتنا، كما ولا يسدّد فواتير الشهر. مهما تهلّلنا بالصورة الكبرى، فقد نتوتّر بشدّةٍ خلال فصول حياتنا الصعبة والمُرهِقة والمُشوِّشة.

كُتِبَتْ رسالة يعقوب خصّيصًا لتلك الفصول. تخيّل أنْ يأتيَ يسوع إليك في وسط وقت الشدّة، وأنْ تنظر في عينَيْه وتسأله أهّم أسئلتك: «يسوع، ماذا يجب أنْ أفعل؟ كيف يمكنني أنْ أتصرّف حيال هذا الموقف مع عائلتي؟ ماذا يمكنك أنْ تقول عن ظرفي الصحيّ؟ وماذا لو خسرتُ مشروعي التجاريّ؟ ماذا يخبّئ المستقبل؟ إلى أين أذهب بعد ذلك؟»

بقيادة الروح القدس، قام يعقوب راعي كنيسة أورشليم بكتابة رسالته للمؤمنين المتألّمين، وكتب فيها الإجابات التي كان ليقدّمها المسيح على الأسئلة أعلاه. استهلّ يعقوب رسالته بترحيبٍ قصيرٍ، ثمّ بدأ مباشرةً بتقديم بعض التّعليمات الحيويّة:

> «احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ ٱمْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا ٱلصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ.» (يعقوب ١: ٢ – ٤)

يعتقد العديد مِن العلماء أنّ هذه الرسالة هي إحدى أقدم رسائل العهد الجديد. كان يعقوب يكتب بشكلٍ أساسيٍّ لجمهورٍ يهوديٍّ: يهودٌ كانوا قد آمنوا بأنّ يسوع هو المسيح، وكانوا يشعرون وكأنّ عالَمهم ينهار. وأوّل التعليمات التي أعطاها لم تكُن عن التصرّف الصحيح الذي ينبغي أنْ يفعلوه أو الكلمات الصحيحة التي يجب أنْ يقولوها، بل عن موقفٍ ليتّخذوه: «احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ».

لا تخطئوا في اعتبار هذه الوصيّة التّعليميّة على أنّها تشجيعٌ. إنّها أمرٌ وليستْ توصية، ويليها تذكيرٌ عن كيفيّة عمل اللّه في حياتنا. إنّ امتحان الإيمان ينتج الصبرَ، الذي بدوره يقود إلى النضوج والكمال. مِن خلال الخبرة نتعلّم أنّ التجارب تقود إلى نتائج فِعلًا جيّدة.

وهذا المبدأ الرائع يأخذنا إلى الوصيّة التّعليميّة الثانية: «وَأَمَّا ٱلصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ». بكلماتٍ أخرى، لا تستسلموا. لا تصبحوا ضحايا. اللّه وعدنا أنّنا أكثر مِن غلبة في المسيح.

> «وَلكِنَّنَا، فِي جَمِيعِ هَذِهِ الأُمُورِ، نُحْرِزُ مَا يَفُوقُ الانْتِصَارَ بِالَّذِي أَحَبَّنَا.» (رومية ٨: ٣٧، ترجمة كتاب الحياة)

لكنّنا لا نستطيع اختبار فرح هذا الانتصار ما لم نتّخذ الموقف الصحيح أوّلًا.

إنّ الضحايا والصامدين يتّخذون مواقف مختلفة. صرخة الضحيّة هي: «لماذا؟» ولكنْ، رغم كونه شرعيًّا، إنّ هذا السؤال نادرًا ما يقود إلى أيّ إجابات. اللّه لا يعطينا الأسباب خلف كلّ ما يحدث في حياتنا، بل يجيبنا على سؤالٍ آخر: «ماذا؟»

مهما كانت المشكلة – سواء تشخيص سرطان، أو عبء مالي كبير، أو وباء مرعب، أو أزمة في العلاقات – فإنّ الموقف الذي تتّخذه الضحايا مختلفٌ عن موقف الصامدين والغلبة. فيما يسأل الضحايا «لماذا»، يسأل الصامدون «ماذا». وإنْ أردنا أنْ نصمد في تحدّياتنا، وأنْ نزدهر أيضًا حتّى في وسطها، فعلينا أنْ نتعلّم ما هي الأسئلة الصحيحة التي ينبغي أنْ نطرحها.

ثلاثة أسئلة مهمّة تبدأ بـ «ماذا»

إنّ الذين يصمدون ويزدهرون في أزماتهم يتعلّمون أنْ يطرحوا ثلاثة أسئلة مهمّة جدًّا تبدأ بـ «ماذا». وكلّ سؤالٍ منها يلاقي إجابته في يعقوب ١: ٢ – ٤. إنْ اتّبعْت تعليمات هذا المقطع في سياق الشركة مع بقيّة المؤمنين، فإنّ اللّه سوف يقوّيك مِن خلال روحه لتكون صامدًا وغالبًا ومنتصرًا بغضّ النظر عن التّحدي الذي تواجهه.

السؤال الأوّل:

بماذا يمكنني أنْ أتحكّم فيما كلّ شيءٍ ينهار؟

على الأرجح لا يمكنك أنْ تتحكّم بظروفك. كما ولا يمكنك التحكّم بردود فِعل الناس حولك ولا بسلوكهم. وبالتأكيد لا تستطيع التحكّم بالأحداث المحليّة أو الكونيّة، ولا بالقادة الذين يتّخذون القرارات بشأنها. لكنّك تتحكّم بشيءٍ واحدٍ على الأقلّ، وهو موقفك. يمكنك أنْ تختار كيفيّة الاستجابة لأيّ موقفٍ على المستوى الداخليّ، قبْل أنْ تفعل أيّ شيءٍ على المستوى الخارجيّ.

إنْ كنت تتساءل عن طبيعة هذه المواقف، فإنّ يعقوب لا يتحدّث عن الظروف المزعجة فحسب، بل يتحدّث عن التجارب المؤلمة والساحقة أيضًا.

ولكـنْ كيـف يتوقّـع يعقـوب منّـا أنْ «نحسـبه كلّ فـرحٍ» حيـن نكـون، بحسـب وصفـه الحرفـيّ، محاطيـن بهـذه التّجـارب؟

إنّ روح اللّـه كلـيّ القـوّة والمعرفـة، الـذي يعلـو جميـع الظـروف والـذي لا يقـدر أيّ شـيء أنْ يهزمـه، يسـكن فـي داخلنـا. لذلـك يمكننـا أنْ نعلـو جميـع ظروفنـا أيضًـا. يمكننـا أنْ نثـق بـأنّ اللّـه سـوف يجعـل جميـع الأمـور تعمـل لصالحنـا، حتّـى حيـن نفشـل فـي النظـر أبعَـد مِـن مشـاكلنا الآنيّـة. إنّ امتحـان إيماننـا سـوف ينتـج شـيئًا ثمينًـا وأبديًّـا. لـذا، يمكننـا أنْ نمضـي قدمًـا ونفـرح بهـذا الوعـد، حتّـى قبْـل أنْ نـراه يتحقّـق.

إذًا، الإجابـة علـى هـذا السـؤال الأوّل هـي «الموقـف القلبـي». هـذا هـو محـطّ أنظارنـا. ولكـنْ لا تخلـط بيـن الموقـف والمشـاعر. قـد لا تشـعر بالسـعادة خـلال تحدّيـات الحيـاة المؤلمـة، لكنّـك تسـتطيع اختيـار الفـرح علـى الرّغـم مِـن ذلـك. يمكنـك أنْ تختـار مواجهـة تحدّياتـك اليـوم، مهمـا كانـتْ، بموقـفٍ يثـق أنّ اللّـه سـوف يحوّلهـا إلـى الخيـر فـي وقـتٍ مـا فـي المسـتقبل. سـوف يُمتَحَـن إيمانـك، وسـوف تخـرج أقـوى ممّـا دخلْـت. وهـذا الأمـر يسـتحقّ الابتهـاج.

وقـد تضطـرّ إلـى المحاربـة مِـن أجـل هـذا الفـرح. لا بـدّ مِـن أنّـك اكتشـفْت أنّ الشـعور بالأسـى تجـاه الـذات أو بالشـفقة مِـن قبَـل الآخريـن لا يحقّـق الكثيـر. وأنّـه لا يسـاعدك علـى الارتيـاح حتّـى. لكنّـك سـتمتلئ بالقـوّة إنْ لبسْـت سـلاح اللّـه الكامـل (أفسـس ٦: ١٠ – ٢٠)، وفهمْـت أنّ الـذي فيـك أقـوى مِـن أيّ شـيءٍ فـي العالـم (١ يوحنّـا ٤: ٤)، وصدّقْـت أنّ اللّـه لـم يعطِـك روح الخـوف والفشـل (٢ تيموثـاوس ١: ٧). يمكنـك أنْ تتمسّـك بمرسـاة الرجـاء وترفـض الاستسـلام. فـي كلّ لحظـةٍ، واحـدة تلـو الأخـرى، أنـت مَـن تختـار موقفـك.

أتذكّـر قـراءة اقتبـاسٍ قالـه أحـد الذيـن نجـوا مِـن معسـكرات الاعتقـال النازيّـة.

كان اسمه فيكتور فرانكل، ولاحقًا أصبح أحد أهمّ علماء النفس عالميًّا. لقد درس كيفيّة احتمال الناس للتعذيب والحبس، وتوصّل إلى هذا الاستنتاج: «يمكن سلب كلّ شيءٍ يمتلكه الإنسان، إلّا شيء واحد، وهو الحريّة الأخيرة مِن الحريّات البشريّة: اختيار الموقف الفرديّ تجاه أيّ ظرف، اختيار الطريق الخاصّة.»[1]

السؤال الثاني:

ماذا يمكنني أنْ أفعل لأصمد اليوم؟

معظم الأسى الذي نشعر به خلال الأزمات يأتي مِن شكّنا في إمكانيّة الصمود والنجاح حين ننظر إلى المستقبل. «ماذا سيحدث الشهر المُقبِل؟ وماذا عن السنتَيْن المُقبلتَيْن؟ أو السنوات الخمس أو العشرين المُقبِلة؟ ماذا سيحلّ بمشروعي التجاريّ؟ وكنسيتي؟ والبلد الذي أسكن فيه؟ لا يمكنني أنْ أرى أيّ مخرج.»

سرعان ما تحاول أذهاننا التكهّن بجميع أشكال النتائج والاحتمالات المستقبليّة، وبسهولةٍ نحوّل تلك الاحتمالات إلى توقّعات. لكنّ اللّه لم يطلب منّا محاولة معرفة المستقبل، إذ لم يعطِنا بَعد النعمة المخصّصة للمستقبل. بل أعطانا النعمة الكافية لليوم. مهمّتنا هي أنْ نتّكل على هذه النعمة بهدف الصمود كلّ يومٍ بيومه.

إنّ الإجابة لهذا السؤال الثاني الذي يبدأ بـ «ماذا» بسيطة: اصبر. تمامًا كما نختار أنْ نعتبر تجاربنا «كلّ فرحٍ»، كذلك نختار أنْ نصبر ونثابر. فنقول لأنفسنا: «لن أرضخ. لن أستسلم. لن أصبح ضحيّة. سوف أثابر حتّى النهاية.»

سبقَ وقرأتُ عن جايمز ستوكدايل، الضابط والطيّار البحريّ الذي عاش

خلال الحرب مع فيتنام، ولحوالي ثماني سنوات، كسجينٍ في هانوي هيلتون، معسكر الحرب الوحشيّ. عند عودته إلى وطنه، حصل ستوكدايل على وسام الشرف وسُئِلَ عن كيف صمد ونجا، وعن الأسباب التي ساعدَتْ بعض أسرى الحرب على الصمود وتلك الأخرى التي أعاقَتْهم.

كانتْ إجابته جاهزة. المتفائلون ماتوا، كما قال. التفاؤل بنفسه لم يكن هو المشكلة، إذ عادةً ما يكون موقفًا جيّدًا أنّ نتّخذه. لكنْ في هذه الظروف، كان يختلق التوقّعات الخاطئة. إنّ الأسرى الذين توقّعوا أنْ يُطلَق سراحهم بسرعةٍ، واتكلوا على ذلك، غرقوا في اليأس. لقد خسروا تركيزهم على الصبر والمثابرة، واستسلموا.

يقول يعقوب إنّ امتحان إيماننا ينتج عكس ذلك عند المؤمنين. إنّه يقوّي تركيزك. إنّه ينتج الصبر. قد لا يخفّف حِمل الصعوبات التي تواجهها، لكنّه يساعدك على التمسّك بصلاح اللّه بشدّةٍ، رغم إدراكك ليأسك، حتّى حين تتعرّض لتوتّرٍ هائلٍ على الصعيد العاطفيّ والعلائقيّ والماليّ والظرفيّ، وحتّى حين تنظر حولك بدون أيّ فكرةٍ عن شكل الحلّ. إنّ نعمته كافيةٌ لحظةً تلوَ الأخرى، حتّى في وسط أشدّ الأزمات.

إنّ الصبر، كالفرحِ، هو خيارٌ. كلّما مارسناه، زادَتْ قوّتنا. وإنّ التمرين البدنيّ مثالٌ شائعٌ على ذلك. هناك عِلم خلف الحصول على النتائج المرغوبة مِن التمرين، سواء كنت ريّاضيًّا أم مبتدئًا، وسواء كان لديك الأثقال الخاصة بك في البيت أم كنت تذهب إلى النادي الرياضي. إنّ المثابرة على التمرين بشكلٍ ثابتٍ أمرٌ ضروريٌّ، وذلك لأنّ العضل يصبح أقوى بَعد أنْ يتمزّق خلال التمرين وثمّ يلتئم.

وتمامًا كما يقوى عضل رافع الأثقال ويكبُر بَعد أنْ يتمزّق خلال التمرين، هكذا يقوى إيماننا بَعد أنْ يتعرّض للشَدِّ والمطّ والتمزيق خلال الصبر والمثابرة. وهذا يزيد مِن قوّتنا في المواقف المستقبلية.

كثيرًا ما يأخذ اللّه إيماننا أبعد مِن مجاله الطبيعيّ، عالمًا بأنّه سوف يلتئم وينمو ويقوى خلال هذه العمليّة.

لا تحتاج إلى أنْ تعرف كيفيّة الاهتمام بمشاكل الغدّ. الأمر الوحيد الذي تحتاج إلى إدراكه هو أنّ قوّة اللّه تعظُم في ضعفك، وأنّ نعمة اللّه لك كافيةٌ في كلّ حينٍ. مهما كانت الظروف التي قد تواجهها في المستقبل، اللّه سوف يكون هناك. وبما أنّك مؤمنٌ، فإنّ إيمانك يقودك إلى الاتّكال على هذه الحقائق. لذلك اصبرْ اليوم وثابرْ، ودعْ قلبك يستريح في اللّه.

حين تبدأ بالتفكير بمشاكل الغد، سوف تلاحظ أنّ النّعمة التي تحتاج إليها لتصبر تبدو وكأنّها تتلاشى. ولكنْ حين تختار عدم الاستسلام يومًا تلو الآخر، أو لحظةً تلو الأخرى، فإنّ هذه النعمة تقوّيك وترفعك.

عندما انتشرَتْ الإنترنت في أواخر التسعينات، انهارَت البورصة وأخذ الاقتصاد وقتًا طويلًا ليتعافى. في ذاك الوقت، كنتُ أقود خدمةً دوليّةً شأنها أنْ تموّل العمل في جميع أنحاء العالَم. كانتْ ميزانيّتنا تبلغ ملايين الدولارات، وفجأةً لم يعد هناك تمويل. كان القادة مِن مختلف الدول معتمدين على دعمنا، ولم يعُد لدينا موارد لنرسلها إليهم. لم يكن لديّ أيّ فكرةٍ عمّا قد أفعل. كان موقفًا مدمّرًا وشبه مستحيل.

لكنّ هؤلاء القادة وجدوا أساليب مبتكرة لدعم خدماتهم بجزءٍ مِن الميزانيّة. في الواقع، توسّع عملنا ليشمل المزيد مِن الدول. فتعلّمتُ أنّ

الأزمات هي من الأساليب التي يعتمدها اللّه لتغيير الأمور مِن أجل نموٍّ وفاعلية أكبر على المدى الطويل.

إنّ الصبر ثمنٌ باهظٌ في ظروفٍ كهذه، ولكنّ الفوائد في النهاية تكون أعظم جدًّا مِن ثمن المسار، كما هي الحال في كلّ ما يفعله اللّه. إنّ اللّه يكافئ الصابرين بأعمالٍ عظيمةٍ لهم، فيهم، وبواسطتهم.

نقرأ في كلّ الكتاب المقدّس عن أبطال الإيمان الذين تعلّموا التمسّك بوعود اللّه مِن خلال أقسى المصاعب والآلام والظلم. حين تُمسك بوعود اللّه الخفيّة وتتمسّك بها بشدّةٍ، وحين تختار أنْ تطيعه وتثق به حتّى عندما لا تعرف كيف يمكن أنْ تسير الأمور، فإنّ اللّه يأتي إليك. هذا هو وعده للذّين يصبرون.

السؤال الثالث:

ماذا يمكنني أنْ أرجو للغد؟

يُقال إنّ الرجاء هو أوكسجين النفس. إنْ لم يكن لنا أمل، فلن نختار الفرح خلال تجاربنا، كما ولن نتمكّن مِن الصبر خلالها. إنّ الرجاء يحملنا مِن تحت ظروفنا ويرينا الأمور مِن فوقٍ ومِن بعيدٍ. لذا نحن نحتاج إليه في جميع المواقف.

فما هي الإجابة على هذا السؤال الثالث الذي يبدأ بـ «ماذا»؟ مِن أين نحصل على الرجاء؟ مِن خلال قبول الحقيقة، أي وعد اللّه بأنّه سيأخذ أسوأ ما نختبره اليوم ويستخدمه للخير. إنّ اللّه يفكّر دائمًا بمصلحتنا القصوى، وهو قادرٌ على استخدام ظروف حياتنا الصعبة واليائسة والمؤلمة ليحوّلها بحسب قصده ويضعها في خدمة منفعتنا.

هـذا لا يعنـي أنّ اللّـه سـوف يغيّـر ظروفنـا علـى الفـور. إنّ الرجـاء لا يعتمـد علـى تجنّـب العمليّـات التـي نمـرّ فيهـا، رغـم أنّ بعـض النظريـات اللاهوتيّـة الضالّـة تعلّـم أنّ طاعتنـا للّـه والصـلاة والإيمـان بالأمـور الصحيحـة تجعـل كلّ شـيءٍ يمشـي كمـا نريـد. هـذا يقـود إلـى الخيبـة.

صحيـحٌ أنّ كلّ الأشـياء تعمـل معًـا لخيـرك، فـإنّ هـذا وعـد رومية ٨: ٢٨، لكـنّ حياتـك لـن تصبـح خاليـة مِـن المشـاكل. إنّ أسـئلة «لمـاذا» التـي نطرحهـا حـول الأمـور التـي تحـدث معنـا لا يمكـن إجابتهـا بسـهولة. هـذا مـا قصـده يعقـوب عندما أوصانـا بـأنْ نـدع الصبـر يتمّـم عملـه لكـي نكـون «تَامِّيـنَ وَكَامِلِيـنَ غَيْـرَ نَاقِصِيـنَ فِـي شَـيْءٍ.» (يعقـوب ١: ٤). إنّ اختيارنـا للفـرح والصبـر والرجـاء هـو طريقتنـا فـي التعـاون مـع اللّـه خـلال مسـيرنا معـه نحـو الكمـال.

هـذا لـبّ مـا تعنيـه كلمـات يعقـوب. إنّ كلمـة «تيليـوس» فـي الآيـة الرابعـة التـي تُتَرجَـم إلـى «كامـل» أو «ناضـج» لا تشـير إلـى الكمـال الـذي هـو بـلا خطيئـة، بـل إلـى عمليّـة إتمـام وإكمـال الغايـة مِـن وجودنـا. ومقصـد اللّـه مِـن خلقنـا هـو أنْ يجعلنـا نشـبه يسـوع. ورومية ٨: ٢٨، التـي نستشـهد بهـا كثيـرًا للإشـارة إلـى قيـام اللّـه بجعـل كلّ الأشـياء تعمـل معًـا لخيرنـا، أيضًـا توصلنـا إلـى الاسـتنتاج نفسـه. الآيـة التـي تليهـا تقـول: «لِأَنَّ ٱلَّذِيـنَ سَـبَقَ فَعَرَفَهُـمْ سَـبَقَ فَعَيَّنَهُـمْ لِيَكُونُـوا مُشَـابِهِينَ صُـورَةَ ٱبْنِهِ»(رومية ٨: ٢٩). حيـن نضـع أملنـا فـي قصـد اللّـه لحياتنـا، نعطيـه المجـال لتحقيـق غايتـه مِـن وجودنـا ولتنميتنـا.

النتيجـة تكـون أنّنـا نصبـح «غَيْـرَ نَاقِصِيـنَ فِـي شَـيْءٍ.» أتذكّـرُ بشـكلٍ واضـحٍ الأوقـات التـي صرختُ فيهـا إلـى اللّـه فـي أسـوأ ظـروف حياتـي وأنـا أفكـر بحجـم النقـص الـذي أعانـي منـه. كان عالَمـي ينهـار ولـم يكـن لـديّ أيّ شـيءٍ أقدّمـه للناس. أتذكّـر أنّنـي أخـذتُ أبكـي حقًّـا وأقـول: «يـا رب، لقـد اتخـذتُ خطـوات عظيمـة بالإيمـان وتبعتُـك بـكلّ قلبـي، وهـذا مـا أحصـل عليـه؟»

ذكّرني اللّه بلطفٍ أنّ مسؤوليّتي تجاهه لم تكُن أنْ أسيّر حياتي كما أعتقد أنّها يجب أنْ تسير، بل أنْ أثق به وأطيعه – أنْ أستريح في خططه لي، حتّى عندما لا أفهمها.

للحصول على أمثلةٍ قويّةٍ، يكفي أنْ ننظر إلى الرسل. لقد خدموا اللّه بنجاحٍ، وأحبّوه بكلّ قلوبهم، وحقّقوا أمورًا عظيمةً مِن خلال قوّة روحه. وبحسب معرفة العلماء، فإنّ معظمهم مات شهيدًا. (الرسول يوحنّا مات مِن تقدّم عمره، ولكنْ يكفي أنّه تمكّن مِن إنهاء كتابة سفر الرؤيا رغم أنّه كان منفيًّا على جزيرة).

تخبرنا رسالة العبرانيين عن عدد أبطال الإيمان الذين لم يروا تحقُّق وعود اللّه الكبرى. ببساطةٍ، كان عليهم أنْ يثقوا. ولأنّهم وثقوا ونظروا بأملٍ إلى ظروفهم الآنيّة، «لَمْ يَكُنِ ٱلْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ.» (عبرانيين ١١: ٣٨).

إنّ مرساتنا ليسَتْ في هذا العالم الفاني، بل في السماء. إنّ السماء هي مرساتنا وأملنا والوعد المُعطى لنا. عندما اقتربَتْ نهاية وقته على الأرض، طمأن يسوع تلاميذه لأنّه كان يعلَم الأمور التي كانوا سيواجهونها:

> «لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يوحنّا ١٤: ١ – ٣).

كانت الكنيسة الأولى تعلَم ذلك جيّدًا. واضطُهِد أعضاء الكنيسة لعدم عبادتهم للإمبراطور، وكثيرًا ما ضحّوا بحياتهم في خدمة الآخرين.

عندما هرب معظم الناس مِن المدن بسبب الأوبئة خلال القرنَيْن الثاني والثالث الميلاديّيْن، بقي العديد مِن المؤمنين هناك لخدمة المرضى، رغم أنّهم كانوا عالمين أنّهم قد يخسرون حياتهم الخاصّة في هذه العمليّة. هذا هو عمل محبّة المسيح وأمل الأبديّة، وقد ترك هذا الأمر انطباعًا عميقًا على غير المؤمنين. قُرابة وسط القرن الرابع، حوالي نصف عدد سكّان الإمبراطوريّة الرومانيّة، والذي كان يبلغ الستّين مليون نسمة، كان قد أصبح تابعًا ليسوع.[٢]

اللّه يريدك أنْ تعلم أنّك أنت مَن تتحكّم بموقفك وبفرحك، مهما كان شكل الأزمة. يمكنك أنْ تصمد في وجه جميع الصعوبات مِن خلال الصبر، كما ويمكنك أنْ تتحلّى بالرجاء لمعرفتك أنّ اللّه كليّ الحكمة والقوّة والمحبّة يعمل لتأمين أفضل النتائج، بأفضل الطرق، إلى أكبر عددٍ ممكنٍ مِن الناس ولأطول مدّةٍ مِن الزمن. إنّ الموقف الثلاثيّ، الفرح والصبر والرجاء، قد لا يغيّر أيّ شيءٍ في ظروفك الآن، ولكنّه يغيّر كلّ شيءٍ بخصوص نظرتك إليها. إنّه يجلب لك السلام.

إنّ الوعد الذي يأتي لاحقًا في الأصحاح الأوّل مِن رسالة يعقوب يوضّح لنا المنظور الكامل: «طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْتَمِلُ ٱلتَّجْرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ» ٱلَّذِي وَعَدَ بِهِ ٱلرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (الآية ١٢). اللّه يعطينا القوّة والنعمة في حينه، ومِن ثمّ يعطينا مكافأةً عظيمةً جدًّا في النهاية. إنْ ركّزنا نظرنا على هذه الجائزة وعلى المخلّص الذي يعدنا بها، فسوف نجد الرحمة في وقت الحاجة.

المنظور الكتابي للألم

إنْ كنت تواجه الشدائد أو الصعوبات أو الألم أو تحدّياتٍ أخرى، أودّ أنْ أشجّعك على النظر إلى تجاربك مِن منظورِ الكتاب المقدّس. نحن ننظر

عادةً إلى التجارب بطريقةٍ مشوّشةٍ حين نكون في وسطها. لكنّ منظور اللّه مختلف عن منظورنا، وإنّ قبولنا للحقيقة كما يراها هو يساعدنا على رؤية ظروفنا مِن منظورٍ أبديٍّ. إنّ الملاحظات الكتابيّة الخمس التالية سوف تساعدك على رؤية تحدّياتك مِن ذلك المنظور المرتفع.

١- اللّه يستخدم الشدائد ليجعلنا ناضجين، إذ نضطرّ إلى الاتّكال عليه بشكلٍ أعمق.

لا أقصد قول إنّ اللّه هو صانع شدائدنا، بل يستخدمها لأهدافٍ محدّدةٍ. لو كان بإمكاننا التعامل معها بمفردنا، لاتّجهْنا نحو الاكتفاء الذاتيّ والكبرياء، وأصبحنا باردين تجاه اللّه. إنّ التجارب تذكّرنا أنّنا متّكلون كليًّا على اللّه.

٢- اللّه يفطمنا مِن أمور الحياة المؤقّتة والطارئة، ويجبرنا على إعادة تفحّص قيَمنا وأولويّاتنا والتزاماتنا ومستقبلنا.

عندما نمرّ في التجارب، نواجه أسئلةً صعبةً مثل: «ما الهدف مِن حياتي؟ ما هي الأمور المهمّة حقًّا؟ بسبيل ماذا أقدّم حياتي؟» اللّه يتكلّم إلينا مِن خلال هذه الأسئلة، فنصبح حسّاسين بشكلٍ خاصٍّ إلى صوته حين نتوق إلى الاستماع إليه. إنّ التجارب تضعنا في هذا الموقف.

٣- التجارب تسمح لنا أنْ نشهد بأنفسنا حقيقة اللّه وقوّته.

إنّ حاجاتنا تتحوّل إلى محتوى نعمة اللّه، ومشاكلنا تصبح هدف قوّته. عندما نجد أنفسنا في مواقف نحتاج فيها إلى الثقة باللّه، نرى قوّته الفائقة للطبيعة بطريقةٍ لم نَرَها مِن قَبل. عندما نحتاج إلى معونته، نراه كمعيننا. عندما نكون في خطرٍ، نراه كحارسنا. عندما نكون مرضى، نراه كشافينا. في كلّ مرّةٍ، نرى الوجه مِن طبيعته الذي نحتاج إليه فعلًا. اللّه لا يكشف لنا

طبيعتـه إنْ شـعرنا بالأسـى تجـاه أنفسـنا، بـل إنْ وثقنـا فـي حضـوره وقوّتـه. روح اللّـه الـذي أقـام يسـوع مِـن المـوت يعمـل فينـا، وفـي وقـتِ الحاجـة إنّـه يمكّننـا مِـن رؤيـة هـذا. اللّـه وحـده هـو أملنـا.

٤- التجارب تقدّم شهادةً رائعةً لعالَمٍ غير مؤمنٍ.

إنّ أسـلوبنا فـي تحمّـل الصعوبـات هـو بمثابـة تصريـحٍ. إنّـه يُظهـر للعالَـم حقيقـة اللّـه. منـذ فتـرةٍ قصيـرةٍ، قضيـتُ بَعـض الوقـت مـع رجـلٍ كانـت امرأتـه قـد خضعَـتْ لعـدّة علاجـاتٍ للسـرطان. كان مثابـرًا فـي الصـلاة والإيمـان طـوال تلـك المحنـة، لكنّـه كان قلقًـا بشـأن شـهادته لـو توفّيَـتْ زوجتـه. هـل كانـتْ ثقتـه باللّـه وهمًـا معلّقًـا فـي الهـواء؟

فأكّـدْتُ لـه أنّ شـهادته لـم ترتكـز علـى حيـاة أو مـوت زوجتـه، بـل علـى قـوّة اللّـه وحضـوره فـي حياتهمـا بينمـا كانـا يمـرّان فـي هـذه التجربـة الصعبـة. إنّ موقفهمـا بحـدّ ذاتـه كان هـو الشّـهادة. محبّتـه للّـه كانـتْ تعكـس محبّـة اللّـه. وإيمانهـا وصبرهـا كانـا برهانًـا قويًّـا علـى عمـل اللّـه فيهـا.

تمامًـا مثلمـا كان بولـس وسـيلا يرنمـان ويسـبحان فـي السـجن (أعمـال ١٦: ٢٥)، كان هـذان الزوجـان يشـيران إلـى صـلاح اللّـه، رغـم ظرفهمـا ورغـم عـدم معرفتهمـا للنتائـج. إنّ هـذا النـوع مِـن التجـاوب مـع التجـارب لا يُفسَّـر بنظـر العالَـم، لـذا فـإنّ الشـهادة الرائعـة تسـمح لقـوّة اللّـه أنْ تظهـر.

٥- نصبح أشخاصًا ممتلئين باللّطف والاهتمام والرأفة، مثل المسيح.

إنّ النـاس الذيـن يعرفـون كيـف يحبّـون بعمـقٍ هـم عـادةً أنـاس تألّمـوا بعمـقٍ. التجـارب لا تـدوم إلـى الأبـد، لكـنّ اللّطـف والرقّـة والرأفـة التـي تنتـج عنهـا هـي

أبديّـة. لطالمـا لا نسـمح للمـرارة بـأنْ تملأنـا، فإنّنـا نخـرج مِـن التجـارب مهيَّئيـن وممكَّنيـن لمحبّـة الآخريـن فـي أوقـاتِ حاجتهـم، تمامًـا كمـا يفعـل يسـوع.

جـزءٌ كبيـرٌ مِـن ثمـر التجـارب ينتـج عـن طـرح سـؤال «مـاذا» بـدلًا مِـن «لمـاذا» فـي وسـط التجربـة. بهـذه الطريقـة، نصبـح متمرّسـين فـي فـنّ تغييـر المنظـور، حيـث نتمكّـن مِـن الامتـلاء بالفـرح والصبـر والرجـاء. نصبـح ناضجيـن وتامّيـن، غيـر ناقصيـن فـي شـيءٍ. نبـدأ بتلقّـي جميـع مـا وعـد اللّـه أنْ يعطينـا فـي كلّ لحظـةٍ مِـن كلّ يـومٍ، ونصبـح شـهادة حيّـة وأبديّـة عـن حضـوره وقوّتـه.

---

[1]Viktor E. Frankl, Man's Search for Meaning (Boston: Beacon Press, 1959).

[2]Rodney Stark, The Rise of Christianity: How the Obscure, Marginal Jesus Movement Became the Dominant Religious Force in the Western World in a Few Centuries (San Francisco: Harper San Francisco, 1997), 594-73 ,7-.

أسئلةٌ للتأمّل والمناقشة

١. فكّر بتجربةٍ سلبيّةٍ في حياتك كان لها نتائج إيجابيّة.

٢. لا بأس في أنْ تطرح سؤال «لماذا» خلال الأوقات الصعبة. ولكنْ ما هو السؤال الذي ينبغي أنْ تطرحه بدلًا مِنه؟

٣. ما هو موقفك تجاه التجارب التي تواجهها الآن في حياتك؟ هل أنت ضحيّة أم صامد؟

٤. ما هي إجاباتك للأسئلة الثلاثة التي تبدأ بـ «ماذا» المبنيّة على يعقوب ١: ٢ – ٤؟ (بما يمكنني أنْ أتحكّم فيما كلّ شيءٍ ينهار؟ ماذا يمكنني أنْ أفعل لأصمد اليوم؟ ماذا يمكنني أنْ آمل للغد؟)

الفصل الثاني
مورِدٌ سماويّ نطلبه

كان جيري لاعبًا ريّاضيًّا رائعًا، وكان لديه مستقبَلٌ بارعٌ ومُربِحٌ جدًّا أيضًا في مجال كرة القدم. ولكنْ بينما كان يتمشّى في وسط المدينة مع صديقته في إحدى اللّيالي، رأى شابَّيْن خارجَيْن مِن حانةٍ وهما يتشاجران. وعندما أخرج أحدهما سكّينًا، تدخّل جيري بينهما بشكلٍ غريزيٍّ.

تمكّن جيري مِن تفرقة الرجُلَيْن، لكنّ أحدهما كان يحمل مسدّسًا، فانتهى جيري برصاصتَيْن في ظهره. منذ تلك اللحظة، أصبح جيري مشلولًا. وهكذا انتهى مساره الاحترافيّ المستقبليّ، بالإضافة إلى الشهرة وملايين الدولارات التي تأتي معها.

كان جيري يؤمن باللّه، لكنّه لم يعتبر أنّ علاقته به كانتْ قريبة آنذاك. على الرغم مِن ذلك، سأل اللّه مرارًا وتكرارًا: «لماذا أنا يا رب؟ أنا لا أفهم.»

وجيـري كان لديـه كلّ الحـقّ ليسـأل لمـاذا سـمح اللّـه أنْ يحـدث هـذا فيمـا كان هـو يفعـل الصـواب ويحـاول إنقـاذ حيـاةٍ.

بَعد ذلك، بدأ جيري يلاحظ نوعَيْن مِن المرضى في مركز إعادة التأهيل:

> «كنـتُ أراقـب النـاس الذيـن لا يتوقّفـون عـن طـرح سـؤال «لمـاذا». كانـوا يركّـزون علـى مـا فـي داخلهـم ويتمرمغـون فـي الشـفقة علـى الـذات. التقـدّم الـذي حقّقـوه كان زهيـدًا وحياتهـم كانـتْ محطّمـة. أمّـا البعـض الآخـر، وكانـوا قليليـن جـدًّا، فكانـوا يركّـزون علـى مـا كانـوا يحتاجـون أنْ يفعلـوه كـي يتحسّـنوا. هـم أيضًـا شـعروا وكأنّهـم مدمَّـرون، ولكنّهـم كانـوا يبحثـون عـن الرجـاء ويحاولـون التقـدُّم يوميًّـا. وهـؤلاء هـم الذيـن نجحـوا.»

لاحقًـا عرفـتُ أنّ جيـري عـاد وربـح الميداليّـة الذهبيّـة كلاعـب كـرة السـلّة فـي الألعـاب الأوليمبيـة للمعوّقيـن، وأنّـه كان يشـارك فـي الماراثونـات. حتّـى بَعـد تلـك المأسـاة، عـاد جيـري وأصبـح لاعبًـا رياضيًّـا رائعًـا. ولكنّـه تمكّـن مِـن ذلـك فقـط لأنّـه تعلّـم كيفيّـة الصبـر حتّـى فـي غيـاب الرجـاء. لقـد تعلّـم «فـنّ الصمـود».

لقـد رأينـا أنّ الصامديـن يتخطّـون أسـوأ الأزمـات مِـن خـلال طـرح ثلاثـة أسـئلة تبـدأ بــ «مـاذا» وهي:

- بمَاذا يمكنني أنْ أتحكّم؟ بموقفي القلبي.
- ماذا يمكنني أنْ أفعل لأصمد اليوم؟ أنْ أصبر.
- مـاذا يمكننـي أنْ آمـل للغـد؟ أنّ اللّـه كلّـيّ القـوّة والمعرفـة وعـد أنْ يأخـذ

أسـوأ اختبـارات حياتـي ويحوّلهـا لخيـري، سـواء علـى هـذه الأرض أو فـي السـماء.

تعلّـم جيـري كيـف يتوقّـف عـن طـرح أسـئلة «لمـاذا»، ويبـدأ بطرح أسـئلة «مـاذا»، مركّـزًا علـى الفُـرص المفتوحـة أمامـه. بمـا أنّ اللّه سـمح لمأسـاة جيـري أنْ تحـدث، فهذا يعنـي أنّـه كان لديـه خطّـة. وفـي النهايـة، بَعـد عودتـه إلـى التمريـن، أصبح جيـري لاعبًا رياضيًّـا علـى المسـتوى العالَمـيّ، والآن وهـو جالـسٌ على كرسـيٍّ متحـرّكٍ.

كمـا أصبحـتْ لديـه شـهادة رائعـة شـاركها فـي مختلـف أرجـاء الولايـات المتّحدة الأمريكيّـة والعالَـم، حـول قـوّة اللّـه الخارقـة التـي عملَـتْ فيـه وغيّـرَتْ حياتـه. وإضافـةً إلـى ذلـك، أصبـح جيـري شـريكًا فـي خدمـاتٍ هدفهـا تأميـن الكراسـي المتحرّكـة لأفقـر الفقـراء.

اعتـرف جيـري لـي مـرّةً أنّـه لـو كان ليعـود بالزمـن إلـى الـوراء، لعـاش ذاك الجـزء مِـن حياتـه كمـا هـو مجـدّدًا دون تغييـر أيّ شـيءٍ. وقـال:

> «هـل أحـبّ الجلـوس فـي هـذا الكرسـيّ؟ لا. كنـتُ أظـنّ أنّ المـال والشـهرة كانـا تذكرتـي لحيـاةٍ جيّـدةٍ، لكـنّ الحميميّـة مـع المسـيح هـي الحيـاة. الآن لـديّ سـلامه، وفرحـه، وقوّتـه، وقـد اسـتخدمني اللّـه كـي يغيّـر حيـاة العديـد مِـن النـاس فـي جميـع أنحـاء العالـم. لقـد أصبحـتُ شـخصًا صامـدًا وغالبًـا، بـدلًا مِـن أنْ أكـون ضحيّـةً، وذلـك لأنّـه أعطانـي الرجـاء. وأصبحـتُ تابعًـا حقيقيًّـا ليسـوع، بـدلًا مِـن أنْ أكـون شـخصًا يؤمـن قليـلًا باللّـه. ولـن أتخلّـى عـن هـذا مقابِـل أيّ شـيءٍ.»

قصّة جيري الكاملة ليستْ كروايات للأطفال، إذ اختبر انتكاسات كثيرة، وعلِق في عدّة فتراتٍ طويلةٍ مِن الإحباط السريريّ. لكنّ النّقطة الأساسيّة لا تتعلّق بالتقلّبات، إذْ جميع الناس يختبرونها، بل تتمحور حول الاتّجاه الذي نختاره. عندما تشعر بالإحباط تجاه بعض التحدّيات الجديّة في مجال العمل، أو الصحّة الجسديّة، أو المال، أو الصحّة النفسيّة، أو العلاقات، أو الأولاد، أو أيّ أزمةٍ أخرى يمكن أنْ تُقدّمها لك الحياة، فتذكّر أنّه بإمكانك أنْ تختار الفرح والصبر والثقة باللّه أنّه سيحوّل كلّ الأمور إلى خيرك.

لكنّ هذا لا يجب أنْ يدفعك إلى التظاهُر والتصرّف بطريقةٍ مزيّفةٍ. إذْ سوف تمرّ بأوقاتٍ لنْ تشعر خلالها بالفرح، بل ستشعر أنّك تريد الاستسلام، وأنّك غير متأكّد سواء يمتلك اللّه فعلًا خطّة لك أم لا. وهذا قد يكون السبّب خلف التّغيير الكبير الذي قام به يعقوب في الآية الخامسة مِن الأصحاح الأوّل. إذ بَعدما أوصانا بأنْ نختار مواقفنا ونصبر ونثق في خطّة اللّه، وجّه نظرنا نحو ثروةٍ ثمينةٍ. وكلّما شعرنا أنّنا عالقون وغير مدركين لما يمكننا أنْ نفعل، فإنّ اللّه يريد أنْ يعطينا هديّةً لا تُقدَّر بثمنٍ، كما ويريد أنْ يرينا في كلّ الأوقات ماذا علينا أنْ نفعل بالتمام.

ما العمل عندما تكون عالقًا

يُكمِلُ يعقوب كلامه بوعدٍ غامرٍ:

«وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ ٱللهِ ٱلَّذِي يُعْطِي ٱلْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ. وَلَكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ ٱلْبَتَّةَ، لِأَنَّ ٱلْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجًا مِنَ ٱلْبَحْرِ تَخْبِطُهُ ٱلرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ. فَلَا يَظُنَّ ذَلِكَ ٱلْإِنْسَانُ

أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ ٱلرَّبِّ. رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ.» (يعقوب ١: ٥ – ٨)

ما العمل عندما تكون عالقًا في ألمِك؟ كيف تصمد وتستمرّ في وسط الأزمة عندما تشعر بالرغبة في الاستسلام؟ ما العمل عندما تحيط بك المشاكل العاطفيّة والماليّة والعلاقاتية والصحيّة، وتجد أنّك لا تعرف كيف تتبع اللّه، بغضّ النظر عن مدى تلهّفك لذلك؟ هذه هي الأسئلة التي يجيب عليها يعقوب في هذا المقطع.

إنّ اللّه يفهمنا عندما نكون عالقين، ويعلم كَم نحتاج إلى توجيهاته عندما لا نعرف ماذا نفعل. لذا، فقدْ أعطانا عرضًا رائعًا مِن خلال يعقوب، وحصولنا على هذا العرض يتوقّف فقط على شرطٍ واحدٍ. لكنْ فلنناقش العرض أولًا.

عرضُ اللّه: الحكمة التي تفوق الطبيعة

إنّ الحكمة التي يعدنا اللّه بها ليستْ مرتبطةً بالذكاء أو الثقافة. بل إنّها القدرة على معرفة ماذا يجب أنْ نفعل، ومتى وكيف نفعله، في وسط أيّ ظرفٍ كان.

هذا المفهوم عن الحكمة هو مفهوم عبريّ، فإنّ يعقوب كتب رسالته إلى مؤمنين يهود، وهو يشير إلى التصميم الذي على أساسِه صنع اللّه الحياةَ. هناك طريقة محدّدة للتفكير، ولاتخاذ القرارات، وللاهتمام العمليّ بمسؤوليّاتنا، وللتصرّف في علاقاتنا، ولاتّباع تصميم اللّه... واللّه يريد أنْ يمنحنا كلّ ما نحتاج إليه كي نطوّر هذه المهارة.

مسؤوليّتُنا: علينا أنْ نطلُب

إنّ المسيحيّين اليهود الذين وجّه يعقوب رسالته إليهم كانوا مؤمنين بالمسيح، وكانوا قد رأوا المعجزات واختبروا تغيُّر حياتهم. لكنّ حياتهم الآن كانتْ تبدو وكأنّها تنهار. فأوصاهم يعقوب بأنْ يطلبوا حكمة اللّه وأنْ يؤمنوا بأنّهم سيحصلون عليها. لم يخبرهم أنْ يحاولوا جاهدين للحصول عليها، ولا أنْ يحاولوا اكتشافها، بل وجّههم نحو مصدر الحكمة وحثّهم على طلبها.

خلال تلك المرحلة المُبكّرة مِن تاريخ الكنيسة، كانت الجُمل البديهيّة التي يستخدمها المسيحيّون اليوم غير متداولة بَعد. فيعقوب لم يقُل لقرّائه «صلّوا بشأن هذا الأمر»، بل أوصاهم بأنْ يأتوا إلى اللّه ويصلّوا طالبين منه هبةً، قائلين: «يا رب، أنا لا أعرف ما العمل في هذه الحالة، لكنّ عَيْنَيّ عليك. أحتاج منك أنْ توجّهني في الاتجاه الصحيح. أحتاج إلى هبةِ الحكمة الإلهيّة».

موقفُ اللّه عندما نطلبه: الانفتاح والكرَم

إنّ وعد اللّه وموقفه مِن العرض واضحان: اللّه سيعطي حكمته بسخاء.

لقد شغلْتُ منصب راعي كنيسةٍ لأكثر مِن ثلاثة عقودٍ، ورأيتُ الكثير مِن الناس العالقين في شتّى أنواع المشاكل، سواء علاقاتية أو ماليّة أو قضائيّة أو صحيّة، وبعضها كان يبدو مستحيلًا. لكنّني صُعِقْتُ بعدد المسيحيّين المستعدّين لفعل أيّ شيءٍ لتخطّي أزماتهم، ما عدا اللّجوء إلى اللّه وطلب حكمته بتواضعٍ حقيقيٍّ.

هذا الأمر كان يحيّرني، ولكنّني أظنُّ أنّني أفهمه الآن. إنّ الطريقة التي ينظر بها العديد مِن الناس إلى اللّه مشوّهة، إذ يظنّون أنّه سيقف مكتوف

اليدَيْـن وسيشـير إلـى أخطائهـم عندمـا يحتاجـون إلـى مسـاعدته. يعانـي معظـم النـاس مِـن ضميـرٍ شـكّاكٍ ومُزعـجٍ حيـال الخطايـا التـي يرتكبونهـا – كالتهـوّر والتبريـر والعصيـان المتعمّـد – ويعتقـد معظمهـم أنّ خطاياهـم سـتؤثّر سـلبًا علـى صلواتهـم وعلـى قدرتهـم بـأنْ يحصلـوا علـى التوجيـه مِـن اللّـه.

لكـنْ لاحـظ مـا كتبـه يعقـوب: إنّ اللّـه «يُعْطِـي ٱلْجَمِيـعَ بِسَـخَاءٍ وَلَا يُعَيِّـرُ» (الآيـة ٥). وكأنّـه يقـول: «تعـال إلـى اللّـه مُعطـي الهبـات». اللّـه هـو الآب الـذي يتفهّـم أولاده عندمـا يخطئـون أو يبتعـدون عنـه. لا يقـول أبـدًا: «طهّـروا أنفسـكم قَبـل المجـيء إليّ»، بـل يريـد منّـا فقـط أنْ نأتـي إليـه، وتمامًـا كمـا نحـن. عندمـا نـدرك أنّنـا لا نقـدر علـى الصمـود مِـن دونـه، ونلجـأ إلـى مسـاعدته، فإنّنـا دائمًـا نجـده هنـاك، ينتظـر مجيئنـا ليعطينـا بسـخاء. هـذا هـو اللّـه.

إنّنـي أحـبُّ جملـة «وَلَا يُعَيِّـرُ». بعـض الترجمـات الأخـرى تقـول «ولا يلـوم» (الترجمـة المشـتَرَكة) أو «بِـلا حِسـابٍ ولا عِتـاب» (الترجمـة اليسـوعيّة). وهـذا يعنـي أنّـه لا يجـب أنْ نتوقّـع التوبيـخ عنـد المجـيء إلـى اللّـه لطلـب الحكمـة. فاللّـه لا يقـف مكتـوف الذراعَيْـن، ولا يوجّـه أصابـع الاتّهـام نحونـا، كمـا ولا يريـد حرماننـا مِـن أيّ شـيءٍ. بـل علـى العكـس، إنّـه يدعونـا بتلهُّـفٍ لأنّـه رؤوفٌ وصالـحٌ، ومتفهِّـمٌ، ومحـبٌّ بشـكلٍ عظيـمٍ.

لهـذا السـبب، يقـوم يسـوع بتشـجيع المُتعَبيـن وثقيلـي الأحمـال علـى المجـيء إليـه. ولهـذا السـبب، علّـم التلاميـذ أنْ يصلّـوا مُسـتخدمين تعبيـر «أبّـا» الشـائع الـذي يسـتخدمه الطفـل للتواصـل بتـودّدٍ مـع والـده، والـذي يعنـي «بابـا» أو «أبـي». لقـد وضّـح يسـوع أنّ ذراعَـيْ الآب مفتوحتـان.

عندمـا يمـرّ النـاس بأوقـاتٍ صعبـةٍ، غالبًـا مـا يلقـون اللّـوم علـى الظـروف، أو النـاس الذيـن أسـاؤوا معاملتهـم، أو النظـام الحكومـيّ، أو الثقافـة، أو أيّ شـيءٍ آخـرٍ

غيـر أنفسـهم. لكنّهـم فـي أعمـاق قلوبهـم يشـعرون بالذّنـب، ويقومـون بإلقائـه علـى الأمـور الخارجيـة. اللّـه يريدنـا أنْ نـدرك أنّـه ليـس هنـاك حاجـة للابتعـاد عنـه، ويريدنـا أنْ نأتـي إليـه ونطلـب التوجيـه الـذي نحتـاج إليـه.

الشرطُ الوحيد

هنـاك شـرطٌ وحيـدٌ مهـمٌّ جـدًّا لتحقُّـق عـرض اللّـه، وهـو يتألّـف مِـن جزئيـن. تقـول الآيـة السادسـة: «لِيَطْلُـبْ بِإِيمَـانٍ غَيْـرَ مُرْتَـابٍ أَلْبَتَّـةَ». إذًا، علينـا أوّلًا أنْ نطلُب منـه بإيمـان، وثانيًـا علـى إيماننـا أنْ يكـون خاليًـا مِـن أيّ شـكٍّ.

كيـف يمكـن تحقيـق هـذا؟ أولًا، فلننظـر إلـى معنـى الطلـب بإيمـان. إنّـه ليـس طلبًـا تجريبيًّـا نأمـل أنْ يسـتجيب إليـه اللّـه، وإن اسـتجاب فإنّنـا نفكّـر فـي سـواء سـنطبّق نصيحتـه أم لا. بـل هـو الطلـب بثقـةٍ فـي اللّـه وباطمئنـانٍ فـي شـخصه وكلمتـه، ومِـن ثـمّ الالتـزام بتطبيـق مـا قـام بإعلانـه.

وهـو أيضًـا إدراك أنّ اللّـه هـو إلـه الكَـوْن الجبّـار الـذي يمتلـك كلّ الحـقّ ليقودنا كمـا يشـاء وليتوقّـع طاعتنا.

بَعْـدَ الطلـب بإيمـان، علينـا أنْ نطلُـب بـدون أيّ شـكٍّ. يخطـئ بعـض النـاس فـي تفسـير هـذه النقطـة، حيـث يظنّـون أنّ لحظـةً واحـدةً مِـن التسـاؤل تكفـي أنْ تجعلنـا غيـر مسـتحقّين للاسـتجابة.

ولكـنّ هـذا التفسـير خاطـئ. فـإنّ يعقـوب هنـا لا يشـير إلـى قلَقِنـا فـي بعـض الأحيـان مِـن عـدم اهتمـام اللّـه بنـا، ولا يشـير إلـى ذاك الشـعور الخفـيّ بـأنّ مقاصـد اللّـه قـد تكـون مختلفـة، علـى الرغـم مِـن قـدرة اللّـه علـى التدخُّـل.

فـإنّ اللّـه يعلـم أنّنـا بشـر، ويتفهّـم الصّراعـات التـي نواجههـا. إنّ الشـكوك

الفكريّة شائعة، وهي لا تجعلنا غير مستحقّين لاستجابة اللّه. لا يتحدّث يعقوب عن هذا النوع مِن الشكّ. بل يتحدّث عن شكّ الشخص غير الأمين، ويصفه كالتالي: «لِأَنَّ ٱلْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجًا مِنَ ٱلْبَحْرِ تَخْبِطُهُ ٱلرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ» (الآية ٦). والشكّ يجعله «ذُا رَأْيَيْنِ» (الآية ٨) أو ذا نفسَيْن.

مِن هنا تشتقّ كلمة سكِيزُوفرِينِيا أيْ فصام الشخصيّة. والصورة تصف شخصًا يصلّي ليدرك مشيئة اللّه وكأنّها مجرّد معلومة قد يتّخذها بعَيْن الاعتبار، دون الالتزام بتطبيقها. فيكون عنوان صلاته «سأفكّر في الأمر»، وكأنّ الشخص سيقيّم الحكمة التي سيهبها له اللّه ليقرّر سواء سيتّبعها أم لا.

إنّ الاستجابة إلى هكذا صلاة مُتوقَّعة: «فَلَا يَظُنَّ ذَٰلِكَ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ ٱلرَّبِّ.» (الآية ٧).

قد يبدو هذا التحذير قاسيًا، وخاصةً للأشخاص الذين يمرّون بظروفٍ صعبةٍ جدًّا. لكنّ اللّه يريد دائمًا أنْ يعمل فينا قَبل أنْ يعمل مِن خلالنا. عندما نكون بحاجةٍ إلى حكمته، فإنّ اللّه يعمل فينا، ولكنْ ليس بدون أنْ نطلب ذلك منه وبطريقةٍ مُحدّدةٍ. علينا أنْ نلتزم بعلاقتنا معه بكلّ قلوبنا، متيقّنين أنّ حكمته لنا هي الأفضل.

تخيّل أن حكمته شيك ماليّ على بياضٍ مِن اللّه لك. لقد وعد بإعطائه لك، ولكنْ عليك الإمضاء على الاتفاق أولًا. أنت تأتي إليه لتسأله الحكمة بشأن مكان سكنك، وكيفيّة الاهتمام بديونك، وطريقة تخطّي خسارتك لوظيفتك، وكيفيّة الصمود خلال أزمتك الصحيّة، وما العمل عندما تكون كلّ الأبواب أمامك مُغلقة، وكيفيّة الصمود ليومٍ آخرٍ، أو أمور أخرى عديدة. وإن التزمْت منذ البداية بالإيمان لكي تحقّق كلّ ما يطلب منك، فحينئذٍ يعد اللّه أنْ يكون حاضرًا في ١٠٠٪ مِن الأوقات، مع حكمته وتوجيهه.

بعدما تزوّجنا أنا وتيريزا ليس بكثيرٍ، غيّرنا مكان سكننا للتّجهُّز إلى الخدمة. كِلا أبوينا كانا مدمنَيْن على الخمر، وكِلانا أتَيْنا مِن عائلةٍ مختلّةٍ. وعلى الرغم مِن ذلك، فكّرنا أنّ كلّ شيءٍ كان سيكون على ما يرام لأننا نحبّ يسوع. ولكنْ بَعد زواجنا بستّة أشهر، وبينما كنتُ في كليّة اللاهوت، بدأ زواجنا ينهار. لم نعرف كيف نحلّ صراعاتنا، وكنّا نقود بعضنا البعض نحو الجنون، كما وكنّا نتجنّب التحدّث سويًّا لعدّة أيّامٍ.

شعرتُ بالذنب الشديد حيال فكرة أنّني كنتُ أتجهّز للخدمة فيما لم أتمكّن من الاهتمام بزواجي. ولكنْ مهما حاولتُ إصلاح الأمور، لم أفلح. ثمّ قرأتُ الأصحاح الأول مِن يعقوب وقُلتُ: «يا ربّ، أنا لا أقدر على ترميم الأمور. هلّا أرَيْتَني ما العمل؟ مهما كان يا ربّ، أنا جاهز». وبينما كان رأسي منحنيًا ويداي مرفوعتَيْن، سمعتُ الروح القدس يقول: «اذهب إلى مُرشدٍ مسيحيٍّ جيّدٍ».

هذا لم يكُن أبدًا ما أردتُ سماعه. إذ أنّ الإرشاد هو للذين يعانون مِن مشاكل حقيقيّة وعويصة، وكنتُ لشعرتُ بخجلٍ شديدٍ لو عرف أيّ أحدٍ أنّ زوجتي وأنا نعاني مِن المشاكل. لكنْ عندما همس الروح القدس: «هل يقف كبرياؤك في طريقك؟» اضطررتُ إلى الاعتراف بذلك.

أعتقد أنّ الكثيرين يطلبون الحكمة مِن اللّه، وهم يظنّون أنّها ستقع في خانة الأمور للتي يتقبّلونها على الأقلّ إلى حدٍّ ما. لكنّ هذا ليس ما يحصل عادةً. إنْ كنّا جدّيين بخصوص طلب حكمته، فعلينا أنْ نكون جاهزين لاتّباعه أينما يقودنا.

عندما نقترب مِن اللّه مع هذا الالتزام، فهو يعطينا حكمته بسخاء. ويمكنني أنْ أشارك معك العديد مِن الاختبارات حيث استجاب اللّه لي عندما كنتُ محتاجًا فعلًا إلى أنْ أسمع حكمته.

في إحدى المرّات، قادني اللّه إلى تغيير مكان سكني إلى الجهة الأخرى مِن البلاد، حتّى عندما كانتْ لديّ جميع الحجج التي تقول إنّها فكرة سيّئة. في بداية خدمتنا، وبَعد أسبوعٍ مِن تناول الخضار فقط، جلسنا أنا وزوجتي في وسط غرفة الجلوس وصلَّيْنا مِن أجل الطعام، وطلبنا مِن اللّه حكمته كي نعرف التصرّف بالدولارات العشرة المتبقّية معنا.

ثمّ في أحد الأيام، وبَعد أنْ أخذَتْ تيريزا الأولاد إلى المدرسة، عادَتْ إلى البيت ووجدَتْ خمسة أكياسٍ موضوعة عند مدخل البيت. كانت الأكياس مليئة باللحوم والأجبان ونوع الدقيق نفسه الذي كانتْ تستخدمه لصنع الخبز. كنّا، لمدّة أسبوعَيْن على الأقلّ، لم نأكُل أيّ شيءٍ مِن هذه الأطعمة، ولم نُخبِر أيّ أحد عن احتياجاتنا. لكنّ اللّه كان يعلم، وتدخّل.

في مرّةٍ أخرى، لم يكن معنا مال البتّة، ولم نتمكّن مِن تسديد إيجار البيت. فطلبتُ مِن اللّه الحكمة وتسديد احتياجاتنا. في اليوم التالي، فتحتُ صندوق البريد، ووجدْتُ شيكًا ماليًّا مِن شخصٍ لم أسمع منه لسنواتٍ عديدةٍ ولم أفكّر به حتّى. كان قد حضر إحدى ساعات دروس الكتاب التي كنتُ أقدّمها عندما كان لا يزال في المدرسة الثانويّة. لاحقًا، انضمّ إلى فريق غرين باي باكرز، وهو فريق محترف للعبة كرة القدم الأميريكيّة. وذات ليلةٍ، أيقظه اللّه واضعًا اسمي في فكره. لن أنسى اللّحظة التي فتحتُ فيها الظرف الذي كان يحمل إشارة الباكرز، وأنا أتساءَل مَن قد يكون المُرسِل، وفي داخله شيك بقيمة ألف دولار.

هذا شكلٌ مِن أشكال التدخّلات التي تفوق الطبيعة التي يحقّقها اللّه بهدف الإعلان عن صلاحه. لكنّ اللّه لا يحقّقها فقط في حياة البعض المُختارين، كما ولا يريدها أنْ تكون نادرة، بل هي مُتاحة لجميع الناس، وخاصّةً لأولئك الّذين

يأتـون إلـى اللّـه فـي يأسـهم بتواضـعٍ والتـزامٍ لاتّباعـه. بكلمـاتٍ أخـرى، إنّ هـذه التدخّـلات هـي أيضًـا لـك.

هـذا لا يعنـي أنّ حكمـة اللّـه سـتكون سـهلة الاتّبـاع. فـإن قـال لـك أنْ تغفـر لشـخصٍ جرحـك بعمـقٍ، فعليـك أنْ تغفـر. وإنْ دعـاك إلـى تغييـر وظيفتـك، أو الاعتـراف بشـيءٍ مُخجِـلٍ، أو الاعتـذار بتواضـعٍ، أو أيّ شـيءٍ آخـر قـد يدفعـك خـارج منطقـة راحتـك، فـلا تقاوِمـه.

قـد لا يكـون الأمـر مرِحًـا ولا مناسـبًا. قـد يكـون تعديـلًا بسـيطًا أو تغييـرًا جذريًّـا. قـد يكـون مرضًـا يغيّـر حياتـك أو خسـارةً لأحـد أفـراد أسـرتك.

كانـت الكنيسـة الأولـى بحالـةٍ جيّـدةٍ. تتكلّـم الأصحاحـات الاثنـا عشـر الأولـى مِن سـفر أعمـال الرسـل عـن حوالـي خمـس عشـرة سـنة مِـن النعَـم العظيمـة، والوِحـدة، والآلاف مِـن المؤمنيـن الجُـدد فـي يسـوع المسـيح. لكـنْ فـي أعمـال ٨: ١، نقـرأ أنّـه «حَـدَثَ فِـي ذَلِـكَ ٱلْيَـوْمِ ٱضْطِهَـادٌ عَظِيـمٌ عَلَـى ٱلْكَنِيسَـةِ».

سـمح اللّـه، فـي حكمتـه، أنْ يشـتّتَ المؤمنيـن، فيخرجـوا مِـن أورشـليم إلـى اليهوديّـة والسـامرة وجميـع أنحـاء الأرض. كان عليهـم أنْ يطلبـوا الحكمـة مِـن اللّـه بإيمـانٍ غيـر مرتـابٍ، لأنّ حكمتـه فعـلًا صالحـة وجيّـدة، وكان عليهـم أنْ يتبعوهـا، لأنّ اتّباعهـا هـو دائمًـا أفضـل مـا يمكـن فِعلـه.

عندمـا تطلـب مِـن اللّـه حكمتـه، تأكّـد مِـن أنْ تفتـح عينَيْـك وأذنَيْـك وقلبـك، وتبقيهـم هكـذا. فقـد يتكلّـم معـك مِـن خـلال كلمتِـه، أو كتـابٍ، أو عظـةٍ، أو مُرشِـدٍ، أو صديـقٍ، أو همسـةٍ مِـن الـروح القـدس، أو شـتّى الطـرق الأخـرى المُختلفـة. واللّـه لديـه طريقتـه الخاصّـة فـي وضـع حكمتـه تحـت الأضـواء الروحيّـة كـي يجذبنـا إليهـا، وهـو يطبعهـا فينـا ويوثّـق أنّهـا كلمتـه.

لـن يهمسـها ومِـن ثـمّ يلومنـا إنْ لـم نسـمعها، ولكـنْ إنْ كنّـا منتبهيـن، فسـوف يكـرّر إيضاحهـا لنـا.

في وقتِ الحاجة

اللّه لنْ يتركك في مشاكلك، بل سيساعدك على التحرّر منها إنْ:

١. اعترَفْتَ بأنّك عالق،

٢. أدركتَ أنّك لا تستطيع فِعل أيّ شيءٍ بمفردك،

٣. طلبتَ منه حكمته التي تفوق الطبيعة،

٤. كنت مستعدًّا لتحقيق مشيئة حكمته مهما كانتْ.

عندمـا تكـون هـذه الخطـوات الأربـع هـي موقفـك مِـن عـرض اللّـه، فسـوف تشـهد تدخّلاتـه.

إنّ حكمـة اللّـه دائمًـا متوفّـرة للّذيـن يطلبونـه، وهـو يأتـي إلينـا خاصّـةً عندمـا نكـون علـى آخـر رمـقٍ. يتكـرّر موضـوعٌ فـي الكتـاب المقـدّس وهـو: «قَرِيـبٌ هُـوَ ٱلـرَّبُّ مِـنَ ٱلْمُنْكَسِـرِي ٱلْقُلُـوبِ، وَيُخَلِّـصُ ٱلْمُنْسَـحِقِي ٱلـرُّوحِ» (مزمـور ٣٤: ١٨). إنّ اللّـه يدعونـا لنقتـرب بثقـةٍ مِـن «عَـرْشِ ٱلنِّعْمَـةِ لِكَـيْ نَنَـالَ رَحْمَـةً وَنَجِـدَ نِعْمَـةً عَوْنًـا فِـي حِينِـهِ» (عبرانيّيـن ٤: ١٦).

عندمـا نرتطـم بالقـاع، ونجـد أنفسـنا فـي حالـةٍ ميـؤوسٍ منهـا، عندمـا لا يكـون هنـاك أيّ شـخصٍ نسـتطيع اللّجـوء إليـه، فحينئـذٍ يعدنـا اللّـه بحكمتـه العجيبـة. وهنـا يرينـا مـاذا علينـا أنْ نفعـل بالتحديـد، وكيـف علينـا أنْ نفعلـه، ومتـى، ومـع مَـن، إنْ كانـتْ قلوبنـا مفتوحـة لاسـتقبال كلمتـه والالتـزام بتطبيقهـا. ويقـدّم اللّـه هـذه الدعـوة المفتوحـة لنـا جميعًـا.

قد نواجه أزماتٍ وتحدّياتٍ مختلفةً في حياتنا، لكنّ دعوة اللّه هي نفسها للجميع في جميع الظروف. عندما تُذكِّرنا الظروف بحاجتنا إلى الاتكال على اللّه، وتقودنا نحو كلمته، فلدينا فرصة للحصول على وِجهة نظره التي ستغيّر نظرتنا للحياة. واللّه يتوق إلى أنْ يعطينا إيّاها ويقدّم لنا حكمته. كلّ ما يطلبه هو أنْ نقبلها دون شكٍّ وانفصامٍ في الفكر. اللّه ملأ الجزء الأول مِن الاتفاق وكتبَ الشيك على بياضٍ. كلّ ما علينا أنْ نفعله هو وضع توقيعنا على الاتفاق والالتزام به، كي تنسكب حكمته في قلوبنا وعقولنا.

في الليلة قَبل الصلب، كان يسوع في الحديقة وهكذا كانتْ صلاته: ««يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ ٱلْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ»» (متّى ٢٦: ٣٩).

هذا هو الاستسلام الذي يمكّننا مِن الحصول على حكمة اللّه. عندما تكون في حالةٍ يائسةٍ، قدِّمْ نفسك ذبيحةً حيّةً للّه، ودَع استسلامك لمشيئته يكون هو خدمتك الروحيّة له، وهكذا تكون قد أتممتَ خطوةً أساسيّةً في «فنّ الصمود».

عندما تعلن أنّ مستقبلَك ملكٌ له، ومالَك ملكٌ له، وعائلتَك ملكٌ له، وحياتَك بأكملها ملكٌ له، فإنّك تضع نفسك في الوضعيّة المناسبة للحصول على أفضل ما لديه مِن أجلك.

هكذا يمكنك أنْ تصمد في وجه الأزمات. إنّ اللّه يعطيك أثمن كنزٍ في العالَم، وهو حكمته. إنّه يقودك في ظروفك بنعمةٍ تكفيك للصمود في كلّ يومٍ، وبوعدٍ أنْ يحوّل كلّ الأشياء لتعمل سويًّا لمصلحتك. مهما كانت الخطوات الأولى صعبة، فإنّها تستحقّ العناء. إنّ حكمة اللّه لا تساعدك على الصمود فحسب، بل على الازدهار أيضًا.

أسئلةٌ للتأمّل والمناقشة

١. كيف تصف الحكمة التي يشير إليها يعقوب في يعقوب ١: ٥؟

٢. كيف يستجيب اللّه لحالتنا عندما «نعلق» في وجه التجارب؟

٣. ما هو الشرط الوحيد للحصول على كنزِ حكمةِ اللّه الذي يصفه لنا يعقوب؟

٤. أيّ هذه الخطوات الأربع هي الأصعب بالنسبة لك؟ (الاعتراف بأنّك عالق، إدراك أنّك لا تستطيع فِعل أيّ شيءٍ بمفردك، طلب الحكمة الفائقة مِن اللّه، أو الاستعداد لتحقيق مشيئة حكمته مهما كانتْ.)

صلِّ واطلب المساعدة مِن اللّه كي تأخذ الخطوة التالية.

الفصل الثالث
لاهوتٌ نصدّقه

تحكي روايةٌ قديمةٌ عن إبليس وذهابه إلى السوق لبيع أدواته التي كان يستخدمها ليُعمي غير المؤمنين ويدمّر إيمان المسيحيّين الذين كانوا يسيرون بمقربةٍ مِن اللّه. وكانت الشياطين الأقلّ مكانةً تُدعى لشراء هذه الأدوات بهدف تحقيق عملهم وخداع المسيحيّين الأمناء، والمسيحيّين الاسميّين، والعالَم الضال.

وكانتْ هناك علبةٌ صغيرةٌ معروضةٌ للبيع. لكنّ سعرها كان باهظًا جدًّا، فاندهشت الشياطين: «ما هو هذا الّذي يمكن أنْ يُقدَّر بهذا الثمن ويتّسع في علبةٍ صغيرة كهذه؟» لم يتمكّنوا مِن تخيُّل أداةٍ ثمينةٍ بهذا القدر.

ففسّر إبليس قائلًا: «هذه العلبة تحتوي على الإحباط، وهو نافعٌ أكثر مِن أيّ أداةٍ أخرى سبق واستخدَمتُها. بواسطته تمكّنتُ مِن اصطياد قلوب البشر والتسلّل إلى داخلها لتجريدهم مِن قوّتهم.

أنـا أسـتخدمه كلّ الوقـتِ تقريبًـا، لكـنّ النـاس لا تعـرف أنّـه يأتـي مِـن عِنـدي. بواسـطته أخـدع النـاس، وأجعـل ظروفهـم تبدو يائسـة، وأخيـرًا أقودهـم إلى الاستسـلام.»

إنّ العبـرة مِـن هـذه الروايـة مهمّـةٌ ومفيـدةٌ. فالإحبـاط يدمّـر حيـاة النـاس، لا بطريقـةٍ واضحـةٍ ولا بشـكلٍ آنـيٍّ، بـل رويـدًا رويـدًا. وقـد نشـعر بـه فـي أيّ لحظـةٍ، لكـنّ تأثيـره الأقسـى علينـا يأتـي حيـن نكـون فـي وسـط أزمـةٍ، وتكـون ظروفنـا صعبـة، والرجـاء يبـدو وكأنّـه خيـال.

يجعـل الإحبـاط مشـاكلنا تبـدو عظيمـةً فيمـا يجعـل اللّـه يبـدو صغيـرًا، وسـرعان مـا نشـعر أنّنـا نريـد الاستسـلام.

يمكننـي أنْ أتذكّـر العديـد مِـن المواقـف التـي كنـتُ فيهـا مُحبطًـا. لقـد واجهـتُ تحدّيـاتٍ علـى صعيـد الخدمـة، والصحّـة، والعائلـة، والظـروف الماليّـة، والأزمـات المحليّـة والدوليّـة، وقـد كان تأثيرهـا علـى حياتـي وحيـاة عائلتـي وأعضـاء كنيسـتي مُزعزِعًـا. فـي بعـض تلـك الأوقـات، التفـتُّ إلـى اللّـه وصلَّيْـتُ أفضـل الصلـوات، ولكـنّ الأمـور بقيَـتْ تتـردّى.

وجـدتُ مؤخّـرًا دفتـر يوميّـاتٍ كنـتُ قـد كتبتُـه قَبـل عـدّة سـنواتٍ فـي أحـد تلـك الأوقـات الداكنـة. وفيـه قـرأتُ هـذا المقطـع:

> «لمـدّة عشـرين شـهرًا، كنـتُ متمسّـكًا بمقطـعٍ ووعـدٍ فـي المزمـور ٢٥. كانـت الرحلـة مُتّسـمةً بالألـم، والظُّلـم، والخيانـة، والتجـرُّد مِـن القديـم، والحصـول علـى منظـورٍ جديـد عـن كبريائـي. نحـن مفلسـون، علـى صعيـد العائلـة والخدمـة. ليـس لدينـا مكتـب، ولا خـدّام، ولا توجُّـه واضـح لتعليمنـا. مسـتقبلنا غيـر أكيـد وغيـر معـروف، ونحـن

مضطـرّون ببسـاطةٍ إلـى العيـش بالإيمـان، مـع الرؤيـة الواضحـة والألـم أنّـه علينـا أنْ نسـتمرّ فـي التقـدُّم لكـي نسـاعد المسـيحيّين أنْ يعيشـوا كمسـيحيّين، بالمـوارد التـي لدينـا، والتـي هـي قليلـة، مِـن أيـن نحـن، وهـذا صعـبٌ، ومـع اللّـه الـذي جلبنـا إلـى هنـا. لقـد جذبتْنـي فكـرة الاستسـلام عـدّة مـرّاتٍ، وقـد شـعرتُ بالإحبـاط الشـديد، كمـا وتصارعـتُ مـع مشـاعر اليـأس خـلال هـذه الرحلـة.»

الآن أنظـرُ إلـى مـا فعلـه اللّـه فـي نهايـة تلـك التجربـة، وأُدركُ أنّـه كان لا بـدّ مِـن أنْ يعمـل فـيَّ بعمـقٍ أولًا، قبْـل أنْ يحقّـق أيّ عمـلٍ مهـمٍّ بواسـطتي.

كان علـيّ أنْ أتعلّـم مضمـون الفصلَيْـن الأولَيْـن مِـن هـذا الكتـاب: أنْ أعتبـره كلّ فـرحٍ عندمـا يكـون كلّ شـيءٍ حولـي يدعـو إلـى الحـزن. كان علـيّ أنْ أصـل إلـى تلـك النقطـة حيـث قلـتُ: «يـا رب، أنـا لا أعـرف مـا العمـل. ليـس لـديّ مـال، ولا اتّجـاه. والصعوبـات تحيـط بـي. أنـا بحاجـةٍ إلـى حكمتـك.»

في قصّتي، اتّخذ الأمر عشرين شهرًا، ولكنّه أعطاني إياها.

قتلُ وحش الإحباط

إنّ تفسـير الإحبـاط هـو خسـارة الشـجاعة. عندمـا ترتفـع الشـجاعة فينـا، نتمكّـن مِـن القـول لأنفسـنا: «الظـروف لا تهـمّ، والمعارضـة لا تهـمّ. سـوف أسـتمرّ فـي التقـدُّم. سـوف أتبـع المسـيح مهمـا يحصـل.»

نحـن نعلـم أنّ اللّـه أكبـر مِـن أيّ جبـلٍ قـد يقـف فـي دربنـا. فنسـتمرّ فـي التقـدُّم واثقيـن أنّنـا نسـتطيع فعـل أيّ شـيءٍ فـي المسـيح الـذي يمنحنـا القـوّة (فيلبـي ٤: ١٣).

لكـنّ الإحبـاط يفتّـت كلّ تلـك الشـجاعة ويبـثّ فينـا اليـأس. إنّـه يقنعنـا وببـطءٍ أنّنـا ضعفـاء، وأنّ لا شـيء سـيتغيّر أبـدًا، وأنّـه ليـس هنـاك أيّ منفعـةٍ مِـن المحاولـة. الإحبـاط هـو ذلـك الشـعور الـذي يجعلنـا نـرى أنّ المسـاومة واتخـاذ الطـرق الأقصَـر والاستسـلام هـي الاحتمـالات الأكثـر منطقيّـة.

لقـد اختبـرت بنفسـك هـذا الشـعور علـى الأرجـح، ومعظـم النـاس يختبرونـه، علـى الأقـلّ خـلال بعـض فصـول الحيـاة. لـذا، وخـلال قراءتـك لبقيّـة هـذا الفصـل، أودُّ منـك أن تفعـل ذلـك وأنـت تفكّـر بأكثـر ظـرفٍ مُحبـطٍ تمـرّ بـه فـي الوقـت الحالـيّ. وأنـا أؤمـن أنّـك إنْ فعلـت ذلـك بـروحٍ مصليّـةٍ، فسـوف يتكلّـم اللّـه معـك مِـن خـلال كلمتـه عـن هـذا الظـرف أو عـن مشـاكل أخـرى تواجههـا.

الإحبـاط هـو المدمِّـر الأوّل لخطـط اللّـه فـي حياتنـا. لـو كُنّـا قادريـن أنْ نـرى خطتـه مِـن المنظـور السـماويّ، لكُنّـا أدركنـا أنّنـا كثيـرًا مـا نستسـلم قبْـل الحصـول علـى أفضـل وأسـمى مـا أعـده اللّـه لنـا.

رأيـتُ هـذا الأمـر يتكـرّر عندمـا كنـتُ أقـدِّم المشـورة للنـاس. مباشـرةً قبْـل أوان الوقـت ليتعلّـم الزوجـان كيـف يغفـران، أو يحـلّان مشـاكلهما، أو يختبـران تغييـرًا فـي زواجهمـا، يستسـلمان ويلجـآن إلـى الطـلاق. رأيـتُ الأمـر ذاتـه مـع أعضـاء فريـق الخدمـة، حيـث يستسـلمون ويتركـون الخدمـة مباشـرةً قبْـل أوان الوقـت لاسـتلام اسـتجابةٍ عظيمـةٍ لإحـدى الصلـوات، سـواء لتفتـح أبـواب الخدمـة أو لتلقّـي المسـاعدة الماليّـة. ورأيتـه أيضًـا فـي حـالات الإدمـان، حيـث يغـرق المُدمِـن فـي الإحبـاط ويسـقط مجـدّدًا فـي عاداتـه القديمـة. للأسـف الشـديد، إنّـه نمـطٌ متكـرّرٌ.

لكنّ اللّه أعطانا خطّةً لنقتُل وحش الإحباط.

عندمـا نتسـاءل كيـف يمكننـا الصمـود عندمـا نكـون متعبيـن، عندمـا نكـون قـد

حاولنا قدر استطاعتنا كلّ ما يمكننا فعله، عندما نكون قد صلَّيْنا ولكنْ بدون جوابٍ، عندما يقوم كلّ شيءٍ نشعر به بدفعنا إلى الاستسلام لأنّنا غير قادرين على تحمُّل المزيد مِن خيبات الأمل، حينئذٍ يستجيب اللّه لنا.

كما رأينا سابقًا، تبدأ خطّة اللّه **بموقفٍ: الصبر بفرحٍ**. هذا الموقف ينتج ثمرةً: نصبح حكماء، وكاملين، لا ينقصنا شيء. واللّه يعطينا ثروةً لا تُقدّر بثمنٍ: **الحكمة الفائقة للطبيعة**.

وفي بقيّة يعقوب ١، يقدّم اللّه لنا لاهوتًا – منظورًا إلهيًّا وصورةً كُبرى عن حقيقة الحياة وظروفنا ومستقبلنا. وإن استقرّ فينا هذا المنظور، خسر الإحباط قوّته.

> «وَلْيَفْتَخِرِ ٱلْأَخُ ٱلْمُتَّضِعُ بِٱرْتِفَاعِهِ، وَأَمَّا ٱلْغَنِيُّ فَبِٱتِّضَاعِهِ، لِأَنَّهُ كَزَهْرِ ٱلْعُشْبِ يَزُولُ. لِأَنَّ ٱلشَّمْسَ أَشْرَقَتْ بِٱلْحَرِّ، فَيَبِّسَتِ ٱلْعُشْبَ، فَسَقَطَ زَهْرُهُ وَفَنِيَ جَمَالُ مَنْظَرِهِ. هَكَذَا يَذْبُلُ ٱلْغَنِيُّ أَيْضًا فِي طُرُقِهِ. طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْتَمِلُ ٱلتَّجْرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ» ٱلَّذِي وَعَدَ بِهِ ٱلرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ.» (يعقوب ١:٩ – ١٢)

إنّ وصفةَ اللّه لمداواة الإحباط هي وصفةٌ إلهيّةٌ. فهو يطلب منّا أنْ ننظر إلى حياتنا مِن خلال عدسة ملكوته. إذ مِن المنظور الأرضيّ، ترى العين المجرّدة أنّ الأغنياء وأصحاب السلطة هم الناجحون، فهُمْ يتمتّعون بجميع وسائل الأمان والراحة. لكنّ العين التي تنظر مِن خلال عدسة ملكوت اللّه ترى أنّ العكس صحيحٌ: إنّ الذين يعيشون حياةً متواضعةً هم الناجحون. ويخبرنا يعقوب السبب.

«الأخُ المتَّضِع» ليس وصفًا للشخصيّة أو للموقف النفسيّ، بل هو وصفٌ للحالة الاجتماعيّة-الاقتصاديّة: هؤلاء الذين ليس لديهم الكثير مِن المال عليهم أنْ يفرحوا في مكانَتِهم المرتفعة.

عليّ الاعتراف أنّ هذه الآيات شكّلَتْ تحدِّيًا كبيرًا لي عندما درستها للمرّة الأولى منذ زمنٍ طويل. ولكنْ بَعد سنواتٍ مِن دراسة الكتاب المقدّس، اكتشفْتُ أنّ المقاطع الكتابيّة المُحيِّرة، التي يصعُب فهمها بشكلٍ سطحيٍّ، عادةً ما تحمل معاني عميقةً. وهذا المقطع في يعقوب ١ هو أحد تلك المقاطع.

مِن المنظور السماويّ، هؤلاء الذين يجدون أنفسهم في ظروفٍ صعبةٍ جدًّا هم الذين نتوقّع منهم أنْ يتّكلوا على اللّه أكثر. وهذه الحالة هي أرفعُ وأسمى حالةٍ يمكن أنْ يكون أيّ إنسانٍ فيها. عندما نتجرَّدُ مِن كلّ شيءٍ، نلتفتُ إلى اللّه بشكلٍ تلقائيٍّ.

لن أنسى أبدًا مرّةً أخرى كنّا فيها حرفيًّا مُفلسين. لم يكُن لدينا أيّ مالٍ أو طعامٍ، وكُنّا قد انتقلنا إلى مدينةٍ جديدةٍ. جلسنا في سيّارتنا بَعد اجتماع الكنيسة وصلّينا مِن أجل شيءٍ نأكله على الغداء – ليس لكوننا أناسًا روحانيّين أو مطيعين، بل لأنّه لم يكن معنا أيّ شيءٍ. وبينما كنّا نصلّي، سمعنا أحدًا يدقُّ على شبّاك السيّارة. كان شخصٌ قد جلس خلفنا في الكنيسة وأراد أنْ يتعرّف على عائلتنا، فدعانا إلى بيته على الغداء. التفتنا إلى اللّه بيأسٍ وهو اقترب منّا.

إنّ الأشخاص الذين يواجهون التحدّيات الصعبة هم أقربُ إلى الغِنَى الروحيّ مِن أولئك الذين يتمتّعون بالاطمئنان والراحة. لا يلتفت جميع الناس اليائسين إلى الإيمان، إذ كثيرًا ما يفشّلهم الإحباط. لكنّ الالتفات إلى اللّه

يصبح غريزيًّا عندما نقع في أوقاتٍ فعلًا صعبة جدًّا. عندما نكون مُفلسين اجتماعيًّا واقتصاديًّا، نكون في الموقع الصحيح لنطلب اللّه ونثق به.

أمّا الأشخاص الذين يمتلكون الثروات الماديّة، أي الذين لديهم ما يكفيهم لليوم ولعدّة أيامٍ قادمةٍ، فإنّهم يتّكلون بطريقةٍ عفويّةٍ على ممتلكاتهم وينسون كيفيّة الاتّكال على اللّه.

قليلون مِمّن ينتمون إلى الطبقتَيْن الوسطى والغنيّة يعتبرون أنفسهم أغنياء. لكنْ بحسب معايير الكتاب المقدّس (والمعايير العالميّة)، إنّ كلَّ مَن ليس منشغلًا بإيجاد سقفٍ ليأويه أو طعامٍ ليأكله غدًا هو شخصٌ مرتاحٌ. نحن الأشخاص الذين يتحدّث عنهم يعقوب عندما يقول: «وَأَمَّا ٱلْغَنِيُّ فَبِٱتِّضَاعِهِ» (الآية ١٠).

يمكن استخدام المال كأداةٍ عظيمةٍ لتحقيق مقاصد ملكوت اللّه، لكنّه كثيرًا ما يضعنا في موقفٍ روحيٍّ مضرٍّ بسبب الأمان المزيّف الذي يؤمّنه. إنّه يعزّز تعلّقنا بأصنامنا، وأحيانًا يصبح هو صنمًا بحدّ ذاته. كما ويقنع الناس (وحتّى المسيحيّين) أنّهم يستطيعون العيش بطريقتهم الخاصّة بعيدًا عن اللّه.

لكنّنا نحتاج إلى أنْ نختار الاعتماد على اللّه مهما كانت الظروف. بغضّ النظر كم نمتلك مِن المال، إنْ لم نصلِّ ونعِش في اتكالٍ تامٍّ على اللّه، فنحن في موقفٍ متدنٍّ وخطيرٍ جدًّا.

هذا هو التحدّي الذي يقدّمه يعقوب للأغنياء والفقراء على حدٍّ سواء. لماذا؟ لأنّ الحياة هي فترة انتقاليّة. «لِأَنَّ ٱلشَّمْسَ أَشْرَقَتْ بِٱلْحَرِّ، فَيَبَّسَتِ ٱلْعُشْبَ، فَسَقَطَ زهره وَفَنِيَ جَمَالُ مَنْظَرِهِ. هَكَذَا يَذْبُلُ ٱلْغَنِيُّ أَيْضًا فِي طُرُقِهِ» (الآية ١١). إنّ حياتنا تضمحلّ مثل البخار.

تحدّثتُ مؤخّرًا مع بعض الأشخاص الذين قضوا قرونًا مِن حياتهم وهم يؤسّسون تجاراتهم، ويستثمرون أموالهم، ويجهّزون لتقاعدهم، والذين خسروا كلّ شيءٍ بعدما ضربتْ جائحة كورونا. لا يمكننا الوثوق بالثروات، حتّى عندما نستخدمها بحكمةٍ، إذ قد تختفي في لحظةٍ.

ولكنْ «طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْتَمِلُ ٱلتَّجْرِبَةَ» (الآية ١٢). أنْ يكون المرء مُطوَّبًا أو مباركًا يعني أنْ يتمتّع بالسعادة الداخليّة المنفصلة عن الظروف. والذين يصبرون هم سعداء. وأصل كلمة الصبر هو ذاته الذي رأيناه مُترجمًا في الآيتَيْن ٣ و٤. إنّ اختبار إيماننا ينشئ الصبر، وهذا الصبر يقودنا إلى البركة.

يمكننا إعادة صياغة كلمات يعقوب كالتالي: «الإنسان السعيد هو ذاك الذي يرفض أنْ يستسلم بل يختار أنْ يثق في اللّه، حتّى عندما يكون تحت الإجهاد والضغط، أو يكون مُحبطًا، أو بلا مال، أو تكون صحّته ضعيفة، أو يكون في صراعٍ روحيٍّ شديدٍ». وإنْ نجح هذا الاختبار، فإنّه «يَنَالُ «إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ»» (الآية ١٢).

ماذا يعني أنْ ننجح في الاختبار؟ إنّه يعني أنْ نحافظ على دعوتنا دون الاستسلام، ودون الانحناء أمام الإغراءات، ودون المساومة، ودون التراجع عن المهمّة التي أعطانا إيّاها اللّه. سواء كان التحدّي يشمل أزواجكم، أو أولادكم، أو رؤساءكم في العمل، فاصبروا.

هذا النوع مِن الصبر هو الذي يُربِحنا إكليل الحياة، أو بكلماتٍ أخرى، الإكليل الذي هو الحياة. الإكليل هو نفسه الحياة. في السماء، سوف نحصل على المكافآت، ويسوع كان واضحًا بهذا الشأن. لكنّ هذا الوعد أكبر وأفضل. إنّه عن الحياة الفيّاضة الآن وإلى الأبد.

عندما ترفض أنْ يحطّمك الإحباط، تربح فضيلةً مِن فضائل الحياة: القُرب مِن يسوع الذي يمُدّك بالشجاعة والإيمان والقوّة والاختبارات، التي لا يستطيع باقي الناس أنْ يحصلوا عليها. وهكذا تحصل على الحياة الآن وعلى المكافآت المستقبليّة التي وعد بها اللّه للّذين يحبّونه، الذين يبقون أمناء له مهما صعُبَتْ ظروفهم.

التمسُّكُ بشدّةٍ خلال الأوقات الشديدة

أعتقدُ أنّ هذا المقطع في يعقوب يحتوي على ثلاثة مبادئ فعّالة وعمليّة قادرة على مساعدتنا في قتل وحش الإحباط.

١. احصلْ على منظور الله لظروفك

كيف؟ بالنظر إليها مِن خلال عدسة الإيمان. أولًا، عليك أنْ تحدّد ما الذي يتسبّب بإحباطك. ما الذي يجعلك تفكّر «لا أقدر أنْ أحتمل المزيد؟» مِن خلال عَيْنَي الإيمان، اطلُب أنْ ترى ماذا يريد أنْ يفعل اللّه استجابةً إلى ثقتك في شخصه ووعوده.

وكيف تفعل هذا؟ عليك أنْ تفهم أنّ اللّه وضعك في موقفك بهدف أنْ يعمل فيك، والنتيجة أهمّ مِن العمل نفسه.

عندما كتبْتُ أنّني كنتُ متمسّكًا بوعدٍ في أمثال ٢٥ لمدّة عشرين شهرًا، كنتُ مؤمنًا بأنّ اللّه سيقودني في الطريق التي كان عليّ أنْ أسير فيها (الآية ١٢). وفي كلّ يومٍ، كان اللّه يعطيني التوجيهات التي كنتُ بحاجةٍ إليها لذلك اليوم. لم أتوقّف عن طلب رؤية السنوات العشر، أو رؤية السنوات الخمس، أو مخطّط الأشهُر الستّة ، ولكنّه لم يعطِني إلّا التوجيه والنعمة الكافييْن لليوم نفسه.

فـي ذلـك الوقـت، لـم أدرك أنّ اللّـه كانـت لديـه مقاصـد أكبـر وأعمـق مِـن زواجـي، وأولادي، وأحفـادي، والخدمـة التـي سـاهمَتْ فـي توسـيع ومضاعفـة تأثيـره مِـن خلالنـا. ولكـنْ عندمـا يهـدف اللّـه إلـى القيـام بشـيءٍ كبيـرٍ مِـن خلالـك، فعليـه أنْ يعمـل بشـكلٍ عميـقٍ فيـك أولًا.

ولتحقيـق هـذا التغييـر العميـق فيـك، عليـه أنْ يزيـل جميـع ركائـزك المزيّفـة: الكبريـاء، الإيمـان فـي الآخريـن، موافقـة الآخريـن، وأيّ شـيءٍ آخـرٍ تضـع ثقتـك فيـه. واللّـه يجرّدنـا مِـن دعائمنـا المزيّفـة ليـس لكونـه قاسـيًا معنـا، بـل لأنّنـا ثمينـون جـدًّا بالنسـبة لـه. إنّهـا عمليّـة مؤلمـة، ولكنّهـا جيّـدة.

كنـتُ أودُّ أنْ أخبـرك أنّ اللّـه سـيأخذك إلـى أعمـاقٍ رائعـةٍ فقـط لـو وثقْـت بـه عندمـا تكـون ظروفـك جيّـدة وعلاقاتـك متينـة واحتياطاتـك وفيـرة. ولكـنْ فـي حيـن قـد يحصـل هـذا أحيانًـا، فإنّـه عـادةً ليـس صحيحًـا. وحتّـى عندمـا تبـدو الأمـور الظاهريّـة عنـد بعـض النـاس الأتقيـاء وكأنّهـا بألـف خيـرٍ، فتأكّـد مِـن أنّهـم قـد واجهـوا تحدّيـاتٍ شـديدةً جـدًّا، قلائـل يعلمـون بشـأنها. لا بـدّ مِـن أنْ تكـون إحـدى التجـارب قـد تسـبّبت لهـم بالمعانـاة الشـديدة.

لـكلّ واحـدٍ فينـا فصـول محـدّدة، يجرّدنـا اللّـه خلالهـا مِـن الأمـور التـي نثـق بهـا كـي لا يتبقّـى لدينـا أيّ شـيءٍ إلّا هـو لنتّـكل عليـه.

لـذا، عندمـا تكـون محبطًـا، تذكّـر أنّ التحدّيـات التـي تواجههـا هـي السـبب الـذي سـيجعلك تسـتمتع بالمكانـة الأعلـى التـي سـتترقّى إليهـا. إنّهـا تضعـك فـي موقـفِ الاعتمـاد علـى اللّـه، وهـذه مهـارةٌ لا تقـدّر بثمـنٍ، تخدمـك اليـوم وإلـى الأبـد.

٢. احصلْ على منظور اللّه لمستقبلك

كيف؟ بالنظر إليها مِن خلال عدسة الرجاء. إنْ كان رجاؤك متعلّقًا بالأمور الحاضرة والآنيّة والملموسة والمنظورة، مهما كانتْ - أي سواء كان متعلقًا بالمال في البنك، أو بتشجيع الناس، أو بالظروف المفضّلة - فإنّه يزيد وينقص بين يومٍ وآخرٍ أو بين لحظةٍ وأخرى. لكنّ الرجاء الذي يمنحه اللّه لنا هو ثابتٌ. إنّ اللّه يعطينا نظّارات جديدة تسمح لنا بالنظر إلى ما وراء الإحباط، فنرى أمل الأبديّة.

إليك ما يقوله الرسول بولس عن الرجاء:

> «لِذَلِكَ لَا نَفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا ٱلْخَارِجُ يَفْنَى، فَٱلدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا. لِأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا ٱلْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى ٱلَّتِي لَا تُرَى. لِأَنَّ ٱلَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا ٱلَّتِي لَا تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ.» (٢ كورنثوس ٤: ١٦ - ١٨)

كان بولس قد تعرّض لتحطّم السفينة، والضرب، والسجن، والاضطهاد، والترك، والافتراء، وجميع أنواع المصاعب. وعلى الرغم مِن ذلك، أدرك أنّ المصائب هي فقط «وقتيّة»، وأنّ المجد الأبدي «أثقل منها جميعًا». إنْ كنت مؤمنًا بيسوع، فلن تمرّ أبدًا بضيقاتٍ غير ضروريّة. في ملكوت اللّه، إنّ الفوائد دائمًا تفوق الأثمان. هذا هو منظور اللّه لمستقبلك.

٣. احصلْ على منظور اللّٰه لدوافعك

كيف؟ بالنظر إليها مِن خلال عدسة المحبّة.

إليك سؤال صعب، والذي ستكون الإجابة عليه شخصيّة ومختلفة بين شخصٍ وآخرٍ. خُذْ دقيقةً للتفكير به: هل أنت مستعدٌّ أنْ تشارك في آلام المسيح؟

قبل عدّة سنواتٍ، أعطَيتُ محاضرةً في هونغ كونغ، ومِن ثمّ اجتمعتُ خلال العشاء مع مجموعةٍ مِن الرعاة. أحد الرعاة، وكان راعيًا لكنسيةٍ بيتيّةٍ، أخذ يخبرنا عن كيفيّة استخدامه لبعض الموارد التي أعطيناها له.

ثمّ أخبرنا عن قصّةٍ حدثت في منزله خلال ذهابه في رحلةٍ تبشيريّةٍ. كانتْ كنيسته مجتمعةً هناك حين أتى مسؤولون مِن الحزب الشيوعيّ. فقامت زوجته بإخراج جميع أعضاء الكنيسة مِن المنزل وقالت للمسؤولين إنّها كانتْ هي راعي الكنيسة، وإنّه لم يكن هناك أحد آخر في البيت. فأخذوها إلى مركز الشرطة وضربوها لمدّة يومَيْن إلى أنْ عاد زوجها مِن رحلته.

بينما كنتُ أستمع إلى هذه القصّة، لم أتمكّن مِن الشعور بأيّ شيءٍ غير الغضب والحقد. وبقيْتُ أفكّر كيف كانت ردّة فعلي لتكون لو فعل أحدهم هكذا بزوجتي. لم أكُن متأكّدًا مِن قدرتي على الحفاظ على إيماني باللّه لو سمح لها بأنْ تمرّ بكلّ ذلك.

ولكنْ عندما انتهى الراعي مِن سرد قصّته، نظر بهدوءٍ إليّ وإلى صديقي الذي أتى معي، وقال: «هل يمكنكما تخيُّل أنّ اللّه حسبنا مستحقّين للتألُّم مِن أجله؟» (وفي تلك اللحظة أدركْتُ كم كان إيماني «أمريكيًّا».)

إنّ موقف ذلك الرجل في وجه المعاناة هو نفسه موقف بطرس ويوحنا عندما تمّ جرُّهما أمام محاكم مجلس اليهود وضربُهما لصنعهما المعجزات وتبشيرهما باسم يسوع. «وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ ٱلْمَجْمَعِ، لِأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ ٱسْمِهِ» (أعمال ٥: ٤١).

مثل بولس، أرادوا أنْ يشتركوا في آلام المسيح (فيلبي ٣: ١٠). كانوا مدفوعين بالأمانة والمحبّة.

إنّ محبّتنا ليسوع ثمينةٌ جدًّا بالنسبة للّه، ولكنّها ثمينةٌ بشكلٍ خاصٍّ عندما نرفض الاستسلام في وسط الآلام بسبب محبّتنا له وبسبب رغبتنا في أنْ نكون مثله .

عليّ الاعتراف أنّني كثيرًا ما شعرتُ بالإحباط وفقدتُ الصبر عندما كنتُ أعمل بجهدٍ على أمورٍ كنتُ متأكدًا مِن أنّ اللّه دعاني كي أفعلها، لأجد أنّها لا تسير بحسب توقّعاتي. في بعض الأحيان، وجدتُ أنّ دوافعي كانتْ تتمحور حول ما كان سيفعله اللّه في حياتي، بدلًا مِن أنْ تتمحور حول استعدادي لاختبار المصاعب كتعبيرٍ عن محبّتي له.

هل ما يدفعك هو المحبّة؟ هذا سؤالٌ موقِظٌ وعميقٌ على الصعيد الشخصيّ، ولكنّه مهمٌّ وضروريٌّ أنْ نطرحه. وإنّ تذكيرنا لأنفسنا بأنّ صبرنا هو تعبيرٌ عن محبّتنا للّه هو مضادٌّ فعّالٌ للإحباط.

أنت لست ضحيّة

تذكّر وجود فرقٍ شاسعٍ بين الضحايا والصامدين. الضحايا ينظرون إلى الحياة مِن خلال عدستَيْ «الأنا» و «الآن». اهتمامهم يتمحور حول ما إذا كانت الأمور تجري لصالحهم أم لا.

فيما ينظر الصامدون إلى حياتهم مِن خلال العدسات التي ناقشناها في هذا الفصل. إنّهم يحسبون ألمهم فرحًا، ويطلبون حكمة اللّه، وينظرون إلى الأمور مِن منظارٍ أبديٍّ، ويتحرّكون بدافع المحبّة. إنْ كان لديك منظور الصامد، فأنت تمتلك كلّ ما تحتاج إليه كي تتخطّى الإحباط.

ولكنْ عليك أنْ تحارب الإحباط. هل تتذكّر أنّني طلبتُ منك قراءة هذا الفصل وأنت تفكّر بأكثر ظرفٍ صعبٍ تمرّ به؟ كيف يمكنك أنْ تتأكّد مِن أنّك تنظر إلى ذلك الظرف مِن خلال عدسة الإيمان والرجاء والمحبّة؟

اطرحْ على نفسك هذه الأسئلة التشخيصيّة الثلاثة:

١. هل إيماني موضوعٌ في الأشياء الفانية أم الأبديّة؟

قيِّمْ ظروفك مجدّدًا في ضوء هذا السؤال. هل إيمانك مرتبطٌ بالأمور التي تدوم أم التي تزول؟

قبْل عدّة سنواتٍ، تعرّفتُ على راعٍ صينيٍّ كان قد تعرّض للضرب والتعذيب. وكانت كنيسته تنمو. ثمّ زجّته السلطات في السجن، وبقيَتْ كنيسته تنمو أكثر فأكثر. وأخيرًا، حضروا شخصيًّا فيما كان يعظ أمام مئات الناس المجتمعين حوله، وهدّدوه بالقتل.

فأجابهم بكلّ إيمانٍ: «عذّبوني، وستنمو الكنيسة. احبسوني، وستنمو الكنسية أكثر بَعد. اقتلوني، وسوف تتضاعف الكنيسة لتصبح أكبر مِن أسوأ كوابيسكم.» بعدما تشاوروا فيما بينهم، رأت السلطات أنّه ربما كان على حقٍّ، وتركوه بحاله. لم يتمحور إيمانه حول الأمور الفانية، بل حول الأمور الأبديّة.

لقد ألهمني العديد مِن الناس الذين نظروا إلى الحياة بهذه الطريقة. على

سبيل المثال، أتتْ مؤخّرًا امرأةٌ إلى جلسةٍ تدريبيّةٍ، وعندما حان الوقت لكي تعود إلى بلدها (وهو بلدٌ يضطهد المسيحيّين بشدّةٍ)، طلبتْ مِن مدرّبها أنْ يعلّمها كيفيّة «الموت بطريقةٍ صحيحةٍ» لإدراكها أنّ تعليمها كان قد يكلّفها حياتها.

والسنة الماضية، جلسْتُ أمام طبيبةٍ شابّةٍ كان مطلوبٌ قتلها. وفي الواقع، أخبرتْني بنفسها أنّها لن تعيش مطوّلًا على الأرجح، ولكنَّ دعوتها كانتْ أهمّ مِن حياتها. وهنا في الولايات المتحدة، لديّ مُرشدٌ كان قد جنى الكثير مِن المال وخسره وعاد وجناه عدّة مرّاتٍ أخرى. بسبب التقلقلات الأخيرة في السوق، خسر أمواله مِن جديد. ولكنْ عندما سألته كيف كان حاله مادّيًا، أجاب ببساطةٍ: «فعلًا هذا لا يهمّ. إنّه مجرّد مالٍ.»

هؤلاء الناس يفهمون أنّ التجارب والخسائر والنكسات والصعوبات إمّا تبنينا وإمّا تكسرنا، لذا يركّزون أعيُنَهم على الأمور الأهمّ.

٢. هل أقيس رجائي بحسب حجم مشاكلي أم بحسب تأكيد وعود الله؟

قيِّم موضع تركيزك مجدّدًا. هل تأمل أنْ تزول مشاكلك أم تضع أملك في مقاصد وخطط اللّه طويلة الأمد؟ هل مشاكلك تبدو عملاقة فيما يبدو اللّه صغيرًا أم العكس صحيحٌ؟ علامَ تركّز؟

شدّد بولس على الرجاء في نهاية رسالته إلى أهل روما، الذين كانوا يمرّون في أوقاتٍ صعبةٍ. وذكّرهم أنّ كلّ ما كُتِبَ في الماضي، أي في العهد القديم، «كُتِبَ لِأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِٱلصَّبْرِ وَٱلتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي ٱلْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ» (رومية ١٥: ٤).

ثـمّ أخبرهـم أنّ اللّـه هـو «إِلَـهُ ٱلصَّبْـرِ وَٱلتَّعْزِيَـةِ» (الآيـة ٥)، وثـمّ أعطـى بركتـه قائـلًا: «وَلْيَمْلَأْكُـمْ إِلَـهُ ٱلرَّجَـاءِ كُلَّ سُـرُورٍ وَسَـلَامٍ فِـي ٱلْإِيمَـانِ، لِتَـزْدَادُوا فِـي ٱلرَّجَـاءِ بِقُـوَّةِ ٱلـرُّوحِ ٱلْقُـدُسِ» (الآيـة ١٣).

اللّـه يريـد أنْ يجلبنـا إلـى موقـفٍ نكـون فيـه مسـتقلّين كـي نتمكّـن مِـن الصمـود والصبـر. كيـف؟ مِـن خـلال حـقّ الكتـاب المقـدّس.

فـي وسـط الأزمـة، هـل يركّـز فكـرك علـى المشـكلة أم علـى الوعـد؟ إنّـه خيـارٌ. جميعنـا لدينـا عاداتنـا الفكريّـة المتينـة، ولكنّنـا نسـتطيع تغييرهـا. نقـدر أنْ نختـار الامتـلاء بالرجـاء.

إنّ تطويـر عـاداتٍ فكريّـة متينـة قـادرة علـى قيادتـي نحـو الأمانـة والشـجاعة والرجـاء هـو أحـد الأسـباب التـي تدفعنـي إلـى حفـظ الكتـاب المقـدّس، وهـو أحـد الأسـباب التـي تجعلنـي أغنّـي وأعبـد الـرب بصـوتٍ عـالٍ. إنّ الإسـهاب فـي كلمـة اللّه يجـدّد فكـري، وأنـا أريـد أنْ أملأ فكـري وقلبـي بحقائـق اللّـه ووعـوده، كـي أتمكّـن مِـن النظـر إلـى الظـروف الصعبـة والمُحبِطـة بطريقـةٍ جديـدةٍ، وهـي طريقـة اللّـه.

٣. هل محبتي للمسيح هي دافعي الأساسيّ أم حاجتي إلى اختبار الراحة؟

إنّ الإجابـة عـن هـذا السـؤال ليسـتْ دائمًـا سـهلةً. لكـنْ عندمـا أنظـر إلـى المؤمنيـن الكثيريـن حـول العالَـم، الذيـن يخدمـون اللّـه علـى الرغـم مِـن الآلام التـي يعلمـون أنّهـم سـيواجهونها، فإنّـي أرى صـورًا عـن المحبّـة. إنّهـم مسـتعدّون لاحتمـال الشـدائد مِـن أجـل ذاك الـذي ضحّـى بحياتـه مِـن أجلهـم.

هل أنت مستعدٌّ؟ وعندما تبدأ في مواجهة الإحباط، فهل ستبقى مستعدًّا؟

أودّ منك أن تتذكّر هذه الكلمات الثلاث. إنّها كلّ ما تحتاج إليه فيما تصارع وتتدرّب على «فنّ الصمود».

الكلمة الأولى هي الإيمان. اللّه ممسكٌ بزمام الأمور.

الكلمة الثانية هي الرجاء. أنت ابنه، وهو لديه مكان وخطّة ووعد لك.

الكلمة الثالثة والأخيرة هي المحبّة. إنّ تحمُّلَ الآلامِ هو امتيازٌ لي ولك، وهو فرصةٌ لنعبّر مِن خلالها عن محبّتنا للرب يسوع.

أسئلةٌ للتأمّل والمناقشة

١. ما هي الأمور التي تُشعرك بالإحباط الأكثر في حياتك الآن؟

٢. كيف يقدر قبولك لمنظور اللّه لظروفك ومستقبلك ودوافعك أنْ يعطيك الشجاعة لتخطّي الإحباط؟

٣. ما هي إجاباتك للأسئلة التشخيصيّة الثلاثة النهائيّة مِن «فنّ الصمود»؟

(هل إيماني موضوعٌ في الأشياء الفانية أم الأبديّة؟ هل أقيس أملي بحسب حجم مشاكلي أم بحسب تأكيد وعود اللّه؟ هل محبتي للمسيح هي دافعي الأساسيّ أم حاجتي إلى اختبار الراحة؟)

٤. فكّر مجدّدًا بأكثر شيءٍ يُشعرك الإحباط في حياتك الآن. كيف يقدر أنْ يمكّنك الإيمان والرجاء والمحبّة بما تحتاج إليه لتحتمل التجربة والحصول على إكليل الحياة؟

الخاتمة

إنّ احتمال التجارب يتطلّبُ مهارةً في «فنّ الصمود»، واللّه يريدك أنْ تتعلّمه.

عاش القرّاء الأوائل لرسالة يعقوب خلال فترةِ اضطهادٍ واضطراباتٍ، مثلنا نحن اليوم. ولطالما واجهت الكنيسة التحدّيات. لكنْ تذكّر أنّ يسوع المسيح وعد ببناء كنيسته، ولا شيء على الإطلاق قادرٌ على الوقوف في وجهه، ولا حتّى أبواب الجحيم. في الواقع، إنّ اللّه يستخدم فترات الصراعات العميقة والتحدّيات المُظلِمة بوجه الخصوص بهدف تغيير العالَم وإعادة تشكيله.

فمتى شعرت بالإحباط، تذكّر الإيمان والرجاء والمحبّة.

- الإيمان يثبّت قلبك وفكرك في الحقيقة أنّ اللّه مُمسكٌ بزمام الأمور.
- الرجاء يذكّرك أنّك ابنه وأنّه يحفظ لك مكانًا وخطّةً ووعدًا.
- المحبّة تحوّل تركيزك بعيدًا عن المصاعب التي تواجهها وتثبّته على امتياز التألُّم مِن أجل اللّه كتعبيرٍ عن إخلاصك له.

هذه الكلمات ترفعنا مِن مستنقع الإحباط وتملؤنا بالتشجيع، كما وتساعدنا على رؤية الحقائق الأبديّة التي تفوق أزماتنا الوقتيّة. فبدلًا مِن أنْ نكون ضحايا تجاربنا، يمكننا أنْ نصمد في وجهها ونتخطّاها. وهكذا نصبح أكثر مِن منتصرين في انتظار إكليل الحياة.

لذلـك، فلنتأكّـد مِـن مواقفنـا القلبيـة، ولنطُلـب هـذا المـورد السـماوي، ولنصحّـح لاهوتنـا، كـي نصمـد ونزدهـر أيضًـا!

لمـاذا؟ لأنّ عالَمنـا بحاجـةٍ ماسّـةٍ إلـى مسـيحيّين يعيشـون كمسـيحيّين، وهـم أنـاس عاديُّـون مثلـي ومثلـك، مسـتعدّون علـى تحمّـل أيّ شـيءٍ قـد يواجههـم بفـرحٍ، بهـدف أنْ يرسـل الـروح القـدس مِـن خلالهـم محبّتـه ونـوره إلـى عالَـمٍ بحاجـةٍ إلـى الرجـاء والشـفاء.

يعقوب ١: ٢ – ١٢

«احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ ٱمْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا ٱلصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ. وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ ٱللهِ ٱلَّذِي يُعْطِي ٱلْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ. وَلَكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ ٱلْبَتَّةَ، لِأَنَّ ٱلْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجًا مِنَ ٱلْبَحْرِ تَخْبِطُهُ ٱلرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ. فَلَا يَظُنَّ ذَلِكَ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ ٱلرَّبِّ. رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ.

وَلْيَفْتَخِرِ ٱلْأَخُ ٱلْمُتَّضِعُ بِٱرْتِفَاعِهِ، وَأَمَّا ٱلْغَنِيُّ فَبِٱتِّضَاعِهِ، لِأَنَّهُ كَزَهْرِ ٱلْعُشْبِ يَزُولُ. لِأَنَّ ٱلشَّمْسَ أَشْرَقَتْ بِٱلْحَرِّ، فَيَبَّسَتِ ٱلْعُشْبَ، فَسَقَطَ زَهْرُهُ وَفَنِيَ جَمَالُ مَنْظَرِهِ. هَكَذَا يَذْبُلُ ٱلْغَنِيُّ أَيْضًا فِي طُرُقِهِ.

طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْتَمِلُ ٱلتَّجْرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ» ٱلَّذِي وَعَدَ بِهِ ٱلرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ.»

متوفّر أيضًا

THE CHIP INGRAM APP

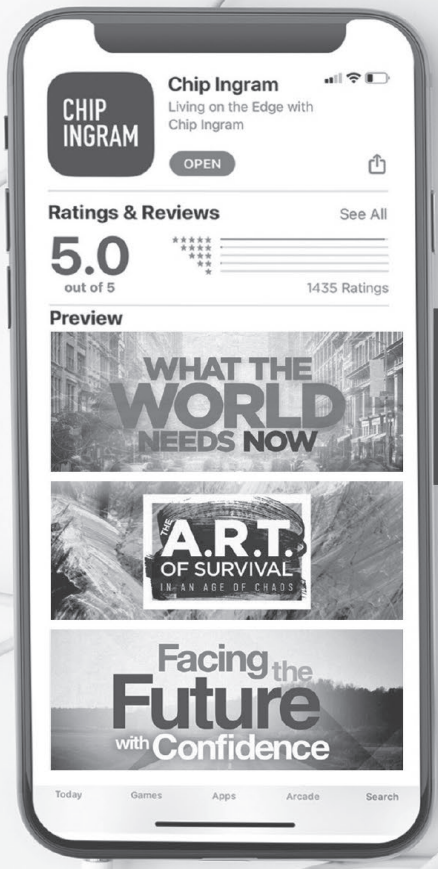

CHIP INGRAM

الحقيقة المغيّرة لتساعدك
على التقرّب من الله

متوفّر على

Get it on iTunes

ANDROID APP ON Google play

Download from Windows Phone Store

amazon apps Available on kindle fire